الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 08 ماي 1945 –قالمة–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

الطرق الصوفية في تونس وموقفها من الحماية الفرنسية

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر

تخصص: تاريخ المغرب العربي المعاصر

إعداد الطالبين:

- **نسرين حمودي**
- **أسامة سلماجي**

إشراف الأستاذ الدكتور

شايب قدادرة

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة	الجامعة
الحواس الغربي	أستاذ محاضر –أ–	رئيسا	جامعة 08 ماي 1945– قالمة–
شايب قدادرة	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة 08 ماي 1945– قالمة–
عبد الكريم قرين	أستاذ محاضر –أ–	ممتحنا	جامعة 08 ماي 1945–قالمة–

السنة الجامعية: 2023/2022

بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر والعرفان

بداية نشكر المولى عز وجل ونحمده على توفيقه لنا في إنجاز هذا العمل المتواضع.

نتوجه بعد ذلك بالشكر والامتنان للأستاذ

"البروفيسور شايب قدادرة " المشرف على مذكرتنا

الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته القيمة التي أنارت لنا طريق البحث وساعدتنا على اتمام هذا البحث، ونشكره على تواضعه وسعة صدره، ونسأل الله له دوام الصحة والعافية، ونتمنى له المزيد من التألق والنجاح في المجال العلمي.

كما نتقدم بالشكر الى لجنة المناقشة

"د. غربي الحواس"

و

"د. قرين عبد الكريم "

الذين سننال شرف مناقشتهم وتقييمهم لهذا العمل.

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذة "مزيز صورية "على مساعدتها لنا في إنجاز هذا العمل

إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد

الإهداء

ربي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا تطيب اللحظات

إلا بذكرك ... ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك ... ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك.

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة الرسول صلى الله عليه وسلم.

فبعد مسيرة دراسية حملة في طياتها الكثير من الصعوبات والمشقة والتعب اليوم

نقطف ثمارها بإذن الله والحمد لله.

-إلى من كلله الله بالهيبة والوقار إلى من علمني العطاء بدون انتظار إلى من أحمل اسمه بكل افتخار "**أبي العزيز**" أطال الله في عمره.

-إلى نور قلبي وأغلى ما أملك إلى من أنارت أصابعها لتعليمي ودعاؤها سر نجاحي نبع الحنان "**أمي الغالية**" أطال الله في عمرها.

-إلى من بهم تحلو حياتي وتغمر سعادتي إخوتي "**محمد**" و "**أحسين**" وفقهما الله.

-إلى روحي "**جدتي**" الطاهرة التي تمنيت وجودها معي اليوم جعل الله قبرها روضة من رياض الجنة رحمها الله وأسكنها الله فسيح جناته

-إلى كل **عائلتي وأحبائي**.

-إلى من تحلينا بالأخوة وتميزنا بالوفاء كل صديقاتي الغاليات وبالأخص:

هند وياسمين، شيماء وأسيمة، عبلة وأسماء.

- إلى من كان عوني في إنجاز هذا العمل زميلي "**أسامة**".

نسرين

الإهداء

الحمد لله على نعمة العلم الذي أنار الله به عقولنا ونشكره على فضله وتيسيره دربنا في إتمام هذا العمل

أهدي عملي هذا الى" أبي الغالي "السند الذي لا يميل

إلى نبع الحنان ومن أنارت أصابعها لتعليمي والتي كان لها الفضل الكبير في نجاحي الدراسي "أمي الغالية "

إلى إخوتي الأعزاء: عبد الرحمان، آية، أميمة.

إلى كل أصدقائي وزملائي

إلى كل من أعانني في هذا العمل لو بكلمة واحدة

إلى من شاركتني في هذا العمل زميلتي "نسرين"

أسامة

- **قائمة المختصرات:**

المختصر	الدلالة
جزء	ج
ميلادي	م
هجري	هـ
تقديم	تق
تعريب	تع
ترجمة	تر
صفحات متتالية	ص-ص
صفحة	ص
تحقيق	تح
طبعة	ط
قبل الميلاد	ق، م
مجلد	مج
دون طبعة	د-ط
عدد	ع
تصدير	تص

مقدمة

التعريف بالموضوع وأهميته: يعتبر موضوع الطرق الصوفية في تونس وموقفها من فرض الحماية الفرنسية عليها عام 1881 من المواضيع الهامة والجديرة بالبحث والدراسة نظرا لقلة الدراسات العلمية الأكاديمية على حد اطلاعنا خاصة وان هذه الطرق المنتشرة بتونس تختلف كثيرا عن بعضها البعض، فجاءت مواقفها من فرض الحماية الفرنسية على تونس مختلفة إلى حد بعيد، وموضوعنا هذا هو محاولة لمعالجة هذه القضية
خاصة وان تونس في هذه الفترة منطقة صراع وتكالب استعماري بين دول أوربا الغربية على الخصوص.

أسباب اختيار الموضوع: تعود أسباب اختيارنا لموضوع الطرق الصوفية في تونس وموقفها من الحماية الفرنسية إلى:

أ-أسباب ذاتية:

- الرغبة في الاطلاع على مثل هذه المواضيع التي تتناول تاريخ المغرب العربي المعاصر بصفة عامة وعلى تاريخ تونس المعاصر بصفة خاصة.

- الرغبة الشخصية في البحث في هذا الموضوع خاصة عندما تولدت لنا فكرة أولية عنه حين تناولنا في السنة الأولى ماستر موضوع المقاومات الشعبية في تونس.

ب-أسباب موضوعية:

- الرغبة في إثراء المكتبة التاريخية بشكل عام والمكتبة الجامعية بشكل خاص.

- قلة الدراسات التي عالجت هذا الموضوع في تونس.

تحديد الإشكالية:

تتمحور إشكالية موضوعنا حول سؤال جوهري تمثل في:

-كيف كان موقف الطرق الصوفية في تونس من فرض الحماية الفرنسية؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية وضعنا جملة من التساؤلات: الفرعية مثل:

1-ماهي أهم الطرق التي انتشرت في تونس وكيف كان نشاطها؟

2-ماهي طبيعة السياسة الفرنسية المتبعة مع الطرق الصوفية في تونس وكيف أثر ذلك على مكانتها؟

3-ماهو موقف الطرق الصوفية من نظام الحماية على تونس وما هو مصيرها؟

المناهج الموظفة في الدراسة:

لقد فرضت علينا طبيعة الدراسة استخدام المناهج العلمية التي تتماشى مع طبيعة الموضوع:

-المنهج التاريخي الوصفي الذي يعتمد على سرد الوقائع والأحداث التاريخية ووصفها وترتيبها حسب تسلسلها الزمني.

-المنهج التحليلي من خلال تحليل المواقف المختلفة وردود الفعل بهدف الوصول إلى نتائج موضوعية.

خطة البحث:

عالجنا موضوع مذكرتنا من خلال خطة تشكلت من مقدمة وأربع فصول مع تمهيد وخلاصة لكل فصل ثم خاتمة بالإضافة إلى ملاحق وقائمة المصادر والمراجع:

الفصل الأول تحت عنوان الطرق الصوفية وأصولها يتكون من ثلاثة مباحث، المبحث الأول خصص للتعريف بالطرق الصوفية، أما المبحث الثاني فتحدثنا فيه عن ظهور التصوف وتطوره والمبحث الثالث تحت عنوان انتشار التصوف في بلاد المغرب الإسلامي.

أما **الفصل الثاني** المسمى تحت عنوان الطرق الصوفية في تونس ونشاطها الذي قسمناه إلى ثلاثة مباحث تحدثنا في الأول عن الطريقة القادرية، وفي الثاني عن الطريقة التيجانية أما المبحث الثالث فتطرقنا فيه الى الطريقة الرحمانية.

و**الفصل الثالث** جاء بعنوان السياسة الاستعمارية الفرنسية والطرق الصوفية، وتشكل من ثلاثة مباحث الأول تحت عنوان فرض الحماية على تونس، والمبحث الثاني بعنوان السياسة الاستعمارية في مواجهة الطرق الصوفية، أما المبحث الأخير فكان بعنوان أثر السياسة الاستعمارية الفرنسية في تونس على الطرق الصوفية.

أما **الفصل الرابع** والأخير فخصصناه لدراسة موقف الطرق الصوفية من نظام الحماية وتشكل من ثلاثة مباحث المبحث، الأول موقف الطريقة القادرية والتيجانية والمبحث الثاني موقف الطريقة الرحمانية، أما المبحث الثالث والأخير مصير الطرق الصوفية.

المصادر والمراجع المعتمدة:

اعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع مذكرتنا على عدة مصادر ومراجع منها:

*العجيلي التليلي، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي في البلاد التونسية(1881-1939م) اعتمدنا على هذا الكتاب في معرفة مواقف الطرق الصوفية من الحماية الفرنسية والسياسة التي اتبعتها فرنسا تجاه هذه الطرق، خاصة في الفصلين الثاني و الثالث، فهذا الكتاب يعد من الدراسات القليلة التي اهتمت بموضوع الطرق الصوفية في تونس خلال فترة الاستعمار.

*قارة فاطمة، موقف الطرق الصوفية التونسية من الحماية الفرنسية(1881-1939م)الطريقة القادرية والتيجانية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، ساعدتنا هذه الرسالة في معرفة السياسة التي اتبعتها فرنسا اتجاه الطرق الصوفية وموقف هذه الطرق من الحماية.

*أحمد دركوش، مواقف الطرق الصوفية من الاستعمار في الجزائر وتونس(1830-1914م) القادرية والتيجانية نموذجا، رسالة ماجستير، اعتمدنا عليه في معرفة كيفية انتشار الطرق الصوفية في بلاد المغرب وبالتحديد تونس ومعرفة موقفها من الحماية.

*صلاح مؤيد العقبي ،الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها ،بهذا الكتاب حددنا مفاهيم التصوف والطريقة ومعرفة الطرق الصوفية.

*وهناك كتب أخرى لها أهمية كبيرة استفدنا منها وقد تم ذكرها في قائمة المصادر والمراجع.

الصعوبات التي واجهتنا:

لا يخلو أي بحث علمي من الصعوبات التي تواجه الباحث أثناء انجازه لبحثه، وعليه فقد واجهنا مجموعة من الصعوبات مثل:

-قلة الدراسات والمراجع التي تتحدث عن هذا الموضوع ونقص المادة العلمية المتخصصة في موضوعنا بمكتبة الجامعة.

-كثرة الطرق الصوفية في تونس وقلة الكتابات التاريخية التي تعالج موضوع التصوف في الجانب السياسي خاصة في فترة الحماية.

- ضيق الوقت فهذا البحث يحتاج للمزيد من العمل والبحث وإتمام ما ينقص منه.

الفصل الأول

الطرق الصوفية

وأصولها

الفصل الأول: الطرق الصوفية وأصولها

المبحث الأول: تعريف الطرق الصوفية

المبحث الثاني: ظهور التصوف ومراحل تطوره

المبحث الثالث: ظهور التصوف في بلاد المغرب الإسلامي

تمهيد:

إن التصوف من المواضيع الهامة التي وجدت اهتماما بين العلماء والباحثين واختلفوا في حقيقته وأصوله حيث انتشر التصوف وصولا إلى بلاد المغرب الإسلامي في شمال إفريقيا، لذا سنحاول في هذا الفصل دراسة مفهوم وأصل التصوف وانتشاره في بلاد المغرب العربي.

المبحث الأول: تعريف الطرق الصوفية

01-تعريف التصوف

01-1-التصوف لغة : تعددت تعريفات التصوف عند العلماء والمتصوفة حيث اختلف هذا المصطلح عبر العصور التاريخية، والراجع هو أن كلمة التصوف مشتقة من لبسهم الصوف[1] أي حسب لبس أهل الصوفية للصوف وذلك من أجل الزهد والتحلي بالفقر حسب اعتقادهم والابتعاد عن الدنيا ورفاهيتها[2]، لقوله تعالى في سورة النحل : "وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ." [3]

والتصوف مشتق من كلمة صوفيا The Sophy اليونانية بمعنى الحكمة [4]، وهناك من يرى أنها كلمة مشتقة من الصفاء بمعنى خلوص الباطن من الشهوات والكدرات[5]، وهناك من يرى انه مشتق من الصّف لأنهم في الصّف الأول بقلوبهم بين أيدي الله عز وجل وإقبالهم عليه[6].

حسب المعجم الوسيط المتصوف هو العارف والتابع للتصوف وسمي نسبة لمن يلبس الصوف تقشفا[7]. أما القاموس الوافي فكلمة التصوف مشتقة من الفعل "صوّف" وهو من اتبع طريقة التصوف أي تخلق بأخلاق الصوفية المتعبدين[8].

(1) -عبد الله بن دجين السهلي، الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها، ط01، دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، 2005، ص09.
(2) -بوزياني الدراجي، عبد الرحمان الأحضري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره، ط02، البويرة، 2009 ص24.
(3) -سورة النحل، الآية 80.
(4) -عباس كحول، زوايا الزبيان العزوزية مرجعية علم وجهاد، دار علي بن زيد للطباعة، بسكرة، 2013، ص44.
(5) -عبده غالب أحمد عيسى، مفهوم التصوف، دار الجبل، بيروت، 1992، ص11.
(6) -أبو القاسم عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، ط01، مطبقة مصطفى البابي الجبلي وأولاده، القاهرة، مصر، 1359ه، 1940م، ص138.
(7) -إبراهيم أنيس آخرون، المعجم الوسيط، ج01، ط02، القاهرة، 1972، ص529.
(8) -شهاب الدين أبو عمرو، القاموس الوافي، مر: يوسف البقاعي، ط01، دار الفكر، بيروت، 2003، ص708.

-هناك من يقول ان علم التصوف يتعلق بعبارات هي الصفا والصافي والصفوة والتصفية، وهناك من يرجع اسم التصوف إلى أهل صفة الرسول صل الله عليه وسلم[1].

التصوف مشتق من الصفة وأصل هذه الطريقة مأخوذ عن أهل الصفة وهم المهاجرين الذين اختصوا بالسكنى في صفة مسجد الرسول صل الله عليه وسلم مثل أبي هريرة الدوسي وبلال الحبشي[2].

-أصل كلمة التصوف نسبة إلى صوفة تشبيها لهم بآل صوفة وهم قوم من العرب الجاهلية يجاورون ويسهرون على خدمة الكعبة المنورة بمكة المكرمة[3].

-هناك من يقول انه مشتق من الصوفة وهي قبيلة كانت في الدهر الأول تخدم الكعبة، أو من صوف المعروف على ظهور الضأن[4].

01-2-التصوف اصطلاحا:

التصوف من أهم المظاهر التي اصطبغت بها الروحية الإسلامية فهو مرآة عاكسة لها، فهي قواعد وضوابط سلوكية ومبادئ في الأخلاق ومناهج في تذوق الحياة يقوم بها ويخضع لها الصوفي[5].

-حيث اختلف الباحثين والمتصوفة في مفهوم التصوف حيث يرى أحد المتصوفين الشيخ محمد الموسوم بأن التصوف هو القيام بالواجبات الشرعية من صلاة وصوم وحج ومعرفة الله

(1) -بوزياني الدراجي، المرجع نفسه، ص24.
(2) -عبد الرحمان بن خلدون، شفاء السائل وتهذيب المسائل، تح: محمد مطيع الحافظ، ط01، دار الفكر، دمشق، سورية، 1417ه، 1996م ص52.

(3) -صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، ج01، دار البراق، 2002، ص35.
(4) -احسان ألهي الظهير، التصوف المنشأ والمصادر، ط01، در الترجمان السنة، لاهور، باكستان، 1986، ص25.
(5) -كمال بوغديري، الطرق الصوفية في الجزائر الطريقة التيجانية نموذجا، أطروحة مقدمة نيل شهادة دكتوراه، علم الاجتماع، جامعة سطيف، 2014-2015م، ص152.

وشكره والتضرع له والابتعاد عن ملذات الدنيا وأن يستعد للحياة الأخرى دائما، فالتصوف هو محاسبة النفس على الأفعال والتروك[1]

ويرى ابن تيمة "أن السالك طريق التصوف والزهد والعبادة إن لم يسلك بعلم يوافق الشريعة كان ضالا عن الطريق"[2]. فالتصوف هو رعاية حسب الآداب مع الله في الأعمال الباطنة والظاهرة بالوقوف عند حدوده[3]. وهو المعرفة الحقيقية للكتاب والسنة والجمع بين العلم والعمل والسعي لمعرفة الله والتجرد من الهوى وحب النفس وإثارة حب الدين ورفع الظلم[4].

-حسب ابن خلدون: التصوف هو العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والأعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والابتعاد عن الخلق والخلوة لعبادة الله[5].

فهو السير في طريق الزهد والتجرد عن زينة الحياة الدنيا وممارسة أسلوب التقشف على النفس والسهر في الصلاة حتى يضعف الإنسان في الجانب الجسدي ويقوى في الجانب النفسي أي إخضاع الجسد للنفس من أجل تحقيق الكمال الأخلاقي أي التخلي عن الدنيا عن طريق مجاهدة النفس وإضعاف الجسد إلى حد التلف[6]. فهو يدل على السلوك وممارسة التطهر والتقشف والابتعاد عن المغريات والتحلي بالأخلاق وهو التضرع والخلوة[7].

(1) -أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954م، ج04، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص09.

(2) -محمد الحربي، ابن تيمة وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره، ط01، عالم الكتب، بيروت، 1987م، ص177.

(3)-عبد الرحمان بن خلدون، شفاء سائل وتهذيب المسائل، المصدر السابق، ص54.

(4) -عباس كحول، المرجع السابق، ص45.

(5) -عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، ج03، تح: علي عبد الواحد الوافي، ط07، دار نهضة، مصر، 2014، ص989.

(6) -برهان زريق، التصوف في تاريخ الفكر الإسلامي، سوريا، 2016، ص45.

(7) -عباس كحول، المرجع السابق، ص45.

التصوف طريقة سلوكية قوامها التقشف والتحلي بالفضائل لطهارة النفس وصفاء الروح[1]، وهو ترك الاختيار ويقال هو حفظ حواسك ومراعاة أنفاسك وهو الحد في السلوك وكذلك الاكباب في العلل[2].

إن التصوف علم الأخلاق الذي يحث على التحلي بالأخلاق والصفات الحميدة وترك الصفات الذميمة[3]. حيث قال محمد بن علي القصاب:" التصوف أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام"، وقال الكتاني " التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الصفاء"[4].

-إن التصوف علم يهتم بصفاء القلب من شهوات الدنيا كحب الرئاسة وحب المحمدة من الناس وكذلك صفاءه من الحسد والعجب والغرور وسوء الظن بالناس[5]، فهو علم يصلح القلب والجوارح فالقلب لا ينشغل إلا بغير الله فهو شعور النفس بالإيمان وخشوع القلب وعدم الاغترار بالدنيا[6]

فالقلب هو أساس صلاح المؤمن كما جاء في الحديث النبوي الشريف:" ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"[7].

(1) -إبراهيم أنيس وآخرون، المصدر السابق، ص529.

(2) –أبو القاسم عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، المصدر السابق، ص138.

(3) –عبد الله حسن زروق، قضايا التصوف الإسلامي، ط02، هيئة الأعمال الفكرية، الخرطوم، السودان، 2006، ص25.

(4) –أبو القاسم عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، المصدر السابق، ص139.

(5) –عبده غالب أحمد عيسى، المرجع السابق، ص11.

(6) –محمد الحربي، المصدر السابق، ص177.

(7) -حديث شريف متفق عليه، أخرجه الشيخان (بوخاري مسلم).

هو علم مرتبط بالمجاهدات والعمل لا النظر ومقاومة الشهوات ومجاهدة النفس وعدم الاسترسال معها وهو أيضا علم التجارب والأدوات وعلم الباطن ونصف أتباعه هم العباد والفقراء والزهاد وأهل الكرامة والصلاح والولاية[1]، حيث قال الرويم بن أحمد البغدادي: "التصوف مبني على ثلاث خصال: التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالبذل والايثار وترك التعرض والاختيار "[2].

التصوف كل الحب المطلق فحب الإله بجعل الموريد يتحمل كل الآلام والمصائب التي يبتليه الله بها ليختبر حبه ويطهره ويجعله يتلذذ بها[3].

-تعريف الطريقة:

02-1-الطريقة لغة:

الطريقة هي السيرة وطريقة الرجل أي مذهبه ويقال مزال فلان على طريقة واحدة أي على حالة واحدة وفلان حسن الطريقة والطريقة الحال[4].

حسب المعجم الوسيط: الطريقة هي السيرة والمذهب وفي التنزيل العزيز في قصة فرعون (ويذهبا بطريقتكم المثلى)، وهي المذهب والدأب والعادة وهي الممر الواسع ومسلك طائفة من المتصوفة

(1) -عبد الله حسن المرزوق، المرجع السابق، ص25.

(2) -أبو القاسم عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، المصدر السابق، ص139.

(3) -أنا ماري شيمل، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، تر: محمد إسماعيل السيد رضا حامد قطب، ط01، منشورات الجمل، بغداد، 2006، ص07.

(4) -جمال الدين ابن المنظور، العرب، ج10، نشر أدب الحوزة، 1405ه، ص221.

والطُّرْق هو ضرب من التكهن والخط في التراب الكهانة وطرق النجاة، الصوف بالعود يطرقه طرقا[1].

الطريقة هي السيرة والمذهب والحال، فهي السيرة المختصة للسّالكين الى الله من أجل الترقي في المقامات[2]. لقوله تعالى في سورة الجن: " وَأَلَّوِ ٱستَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا " [3].

فالطريقة كما يقول الجرجاني في كتابه قاموس التعريفات فهي " السيرة المختصة بالسالكين الى الله تعالى من قطع المنازل والترقي في المقامات"[4].

الطريقة كما يقول الراوي:" هي الأسلوب الخاص الذي يعيش المتصوف بمقتضاه قبل أن يصير صوفيا في ظل جماعة من جماعات التصوف التابعة لأحد كبار الشيوخ"[5].

لقوله تعالى في سورة الجن:" وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا"[6].

02-2-الطريقة اصطلاحا:

الطريقة هي مسلك ومسار خاص بنوع من الناس يتميزون عن غيرهم في المناهج التي يمكن إتباعها للوصول للحقيقة المطلقة عبر مراحل فكل طريقة صوفية تعتمد للتدليل على صحتها وشرعيتها على سلسلة

(1) -إبراهيم أنس وآخرون، المعجم الوسيط، ج02، ط02، القاهرة، 1972، ص556.

(2) -عبد الله بن دجين السهلي، المرجع السابق، ص09.

(3) -سورة الجن، الآية 16.

(4) –علي بن محمد الجرجاني، قاموس المصطلحات وتعريفات علم الفقه واللغة والفلسفة والمنطق والتصوف والنحو والصرف والعروض والبلاغة، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، 2004، ص119.

(5) –كمال بوغديري، المرجع السابق، ص195.

(6) – سورة الجن، الآية 11.

من الصالحين والأعلام[1]، فهي طريق الحق والهداية والسلم للوصول إلى النجاة من خلال الأذكار والأشعار التي تختلف من طريقة إلى أخرى[2].

إن الطريقة هي المنهاج الذي اختص به المتصوفة بغية تطهير القلوب من كل المؤثرات التي تشغله عن محبة الله وهذا المنهاج أساسه هو المجاهدة واتباع طريق معين للتقرب من الله سبحانه وتعالى، حيث يقول أبو حامد الغزالي أن طريق الصوفية عبارة عن تقديم المجاهدة ومحو الصفحات المذمومة وقطع العلائق كلّها والإقبال بِكُنْهِ الهمة على الله تعالى[3]، ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده المتكفل له بتنويره بأنوار العلم، وقد رجع هذا الطريق إلى تطهير محض من جانب السالك وتصفيته وجلاء ثم استعداد وانتظار. حيث أن هذه الصفات رأتها الصوفية بأنها الطريق الموصول إلى الله سبحانه وتعالى[4].

الطريق لدى الصوفية هو تلك المراحل والخطوات نحو التوجه إلى الله فالطريقة هي الدرب الذي يسلكه الصوفي وهذا الدرب هو الشريعة التي يجب على كل مسلم أن يتبعها فيجب على الصوفي أن يتبع طريق الشريعة اتباعا خالصا من أجل الوصول إلى الهدف أي

(1) -التليلي العجيلي، الطرق الصوفية والاستعمار لفرنسي بالبلاد التونسية(1881-1939م)، منشورات كلّية الآداب، منوبة، تونس، 1992م، ص35.

(2) -عباس كحول المرجع السابق، ص39.

(3) -كمال بوغديري، المرجع السابق، ص196.

(4) -عبد الله المرزوقي، الطرق الصوفية ومنطلقاتها الفكرية والأدبية بمنطقة التوات دراسة تاريخية وأدبية "نماذج شعرية من ديوان سيدي عبد الكريم بن محمد البليالي (1288ه-1860م)، رسالة دكتوراه، أدب عربي، جامعة قاصدي مرياح، ورقلة، 2016-2017م، ص40.

التوحيد التام بمعنى معرفة وحدانية الله معرفة حقيقية[1].

اختلفت أسماء الطرق الصوفية في العالم الإسلامي باختلاف أسماء مؤسسيها وهي تهدف إلى غاية واحدة وهي غاية خلقية إنكار الذات والصدق في القول والعمل والصبر والخشوع ومحبة الغير والتوكل وغير ذلك من الفضائل التي يدعي لها الإسلام[2]

-إن كلمة الطريقة عند الصوفية هي مجموعة من أفراد الصوفية ينتسبون إلى شيخ معين ويخضعون لنظام دقيق من السّلوك الروحي، فالمتصوفة يعقدون مجالس العلم والذّكر بانتظام ولذلك يجتمعون في المناسبات الدينية ولهم حياة جماعية في الزوايا والرباط والخناقات[3]، ففي أغلب الأحيان تنسب الطريقة وتسمى على شيخها فمن التعاليم المشتركة للطرق الصوفية من لا شيخ للطريقة فالشيطان شيخه[4].

(1) –أنا ماري شيمل، المرجع السابق، ص113.

(2) –أبو وفاء القيمي التفتزاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، ط03، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1979، ص236.

(3) -عبد الله المرزوقي، المرجع السابق، ص113.
(4) -عباس كحول، المرجع السابق، ص37.

المبـحث الثـــاني: ظهور التصوف ومراحل تطوره

عرف التصوف الإسلامي منذ نشأته وتطوره في بلاد المشرق العربي وصولا إلى المغرب العربي، عدة مراحل رغم تداخلها تاريخيا إلا أنه يمكن تعريف كل واحدة من حيث تريخها وزمانها، فلكل مرحلة سمات وخصائص تختلف تقريبا عن المراحل الأخرى.

***المرحلـة الأولـى:**

سميت هذه المرحلة بمرحلة الزهد وهي أول مرحلة في تاريخ التصوف، ظهرت في القرنين الأول والثاني للهجرة.

فالصوفية الأولون في الحقيقة هم أناس زهدوا عن الدنيا أكثر منهم متصوفة[1]، وأطلقت عليهم عدة تسميات: الزهّاد، النُّسّاك، والبكائيين وليس الصوفية، فإيمانهم بالله واعتقادهم به كان نقيا خالصا، وهروبهم من الدنيا إلا خوفا من عذاب الآخرة حيث أصبحت الكهوف والمغارات والجبال ملجأهم هروبا من المجتمع وبَحثا عن العزلة والوحدة الصامتة[2].

ومن أبرز العوامل التي كان لها دور كبير في ظهور ونشأة الزهد هو العامل الديني، فقد حثّ القرآن الكريم والسُّنة على حقارة الدنيا وزينتها والعمل الجاد من أجل الآخرة لنيل ثواب الجنة، وهذا ما نجده في عدة آيات من القرآن الكريم.

من الآيات التي تشير إلى فناء الدنيا ووجوب الزهد فيها قوله تعالى في سورة يونس: " إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلحَيَوٰةِ ٱلدُّنيَا وَٱطمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُم عَن ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ (7) أُوْلَٰٓئِكَ مَأوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكسِبُونَ (8)"[3].

(1) -ر.أ.نيكلسون، الصوفية في الإسلام، نور الدين بن شرية، ط02، مكتبة الخانجي، مصر، القاهرة، 1422ه-2002م، ص12.

(2) -محمد الحربي، المرجع السابق، ص182.

(3) -سورة يونس، الآية 7-8.

من هذه الآية وكثير منها في القرآن الكريم تبين لنا أن الحياة لهو ولعب وأنها لا تدوم، وعلى المؤمن الحق أن يسعى إلى لقاء ربه ولا يفضل الحياة الدنيا عن الآخرة. وكذلك قول رسول الله صل الله عليه وسلم " الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر "[1].

مما لا شك فيه أن هذه الأحاديث والصور القرآنية هي التي دفعت بزهاد القرنين الأول والثاني إلى الهجرة من الدنيا والاكتفاء بالقليل من اللباس والطعام والمال والخوف من الفتن والرغبة الشديدة في الظفر بالجنة[2].

كما أن هناك سبب آخر يرجعه جلْ الباحثين في بروز حركة الزهد هي التحولات الاجتماعية

والاضطرابات السياسية عند المسلمين، فمنذ أواخر عصر الخليفة عثمان بن عفّان إلى عصر الإمام علي بن أبي طالب انقسم المسلمون إلى شيعة وخوارج ومرجئة، إذ عمدت هذه الفرق إلى تأويل النصوص الدينية تأويلا خاصا واعتمادها في تأييد مواقفهم ومعتقداتهم من أجل كسب أكبر عدد من الناس إلى جانبهم.

في ظل هذه الاضطرابات السياسية والأجواء المشحونة والخلافات الدينية الخطيرة، لجأ الصحابة إلى اتخاذ موقف الحياد من أجل إيثار السلام والابتعاد عن الفتنة وحبا منهم في العزلة. فهم بهذا كانوا يتوجهون إلى نوع من الزهد فسموا بالمعتزلة.

تأثير هذه الاضطرابات السياسية لم يكن فقط على الصحابة وإنما أيضا على بغض المسلمين في ذلك العصر الذين عمدوا إلى إيثار حياة العزلة والعبادة بعدا عن الفتن السياسية[3].

(1) -أنظر صحيح مسلم، نظارة المعارف الزكية، 1332ه، ص210.

(2) -أبو الوفا التفتزاني، المرجع السابق، ص63-66.

(3) -أبو الوفا التفتزاني، المرجع نفسه، ص 68-69.

ومن أهم متصوفي هذه المرحلة أي (المرحلة الأولى أو مرحلة الزهد) الذين عرفوا بزهدهم: الحسن البصري المتوفي سنة 728م*، ورابعة العدوية المتوفاة عام801م**.

إذ مثلت هذه الأخيرة تيارا جديدا من الزهد القائم على حب الله تعالى عكس التيار الأول القائم على أخوف منه ومن عذاب النار، تعتبر من الزهاد المتأخرين الذين ظهروا أواخر القرن الثاني لم تكن غايتها من طاعة الله وزهدها في الدنيا طمعا بالجنة ورهبا من النّار إنما كانت تطيع الله حبا فيه وهذه المرتبة الروحية تعتبر من أسمى مراتب التصوف، فقد تعمقت في تحليلها لتعبدها وزهدها، كما تحدثت في كثير من المعاني في الحزن والخوف والتواضع والرياء وتصحيح الأعمال وعدم التشاغل بالخلق والتوبة والرضا، تعتبر نقطة تحول هامة في تاريخ التصوف، مهدت بأفكارها الجديدة إلى تطوير الزهد وانتقاله إلى مرحلة أصبح فبها التصوف علما للأخلاق[1].

المرحلة الثانيـة:

أدرك صوفية هذه المرحلة، التي امتدت من القرن الثالث إلى القرن الرابع الهجريين، على أهمية الجانب الأخلاقي بالنسبة للدين فانصب اهتمامهم على هذا الجانب وذهبوا إلى أبعد من ذلك حيث اعتبروا أن أي علم لا يقترن بالخشية من الله، والمعرفة به لا جدوى منه، فعلوم الكتاب ما أسهل تحصيلها، لكن تحصيل الأخلاق عسير، لأنها تمثل صراع شاق بين الإنسان ونفسه الأمّارة بالسّوء، يلزمها جادة الصواب.

*-الحسن البصري كنية أبو سعيد كان أبوه غريانيا من مسيان وسباه المسلمون عند فتح العراق وسكن المدينة المنورة وقد أعتقهم من كان عندهم من الأنصار ولد ابنه الحسن فيها عام522م وغادر إلى البصرة وأقام إلى أن توفى عام110.أنظر الى: فاطمة قارة، موقف الطرق الصوفية من الحماية الفرنسية (1881-1931) طريقة قادرية والتيجانية نموذجا، مذكرة ماجيستر، تاريخ حديث ومعاصر، جامعة الجزائر 02، 2011-2012، ص08.

**-هي أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية مولاة آل عتيك وتوفيت سنة 185ه ودفنت بالبصرة هي الشاعرة المحبة الإلهية عند الصوفية مثلت مذهب الزهد وكانت عابدة. أنظر إلى: فاطمة قارة، المرجع نفسه، ص08.

(1) -أبو الوفا التفتازاني، المرجع السابق، ص87-89.

رؤيتهم للأخلاق على أنها جوهر الدين، واهتمامهم بهذا المجال[1]، دفعهم الى إنشاء علم الأخلاق الدينية هدفه الارتقاء بالنفس وتهذيبها لتصل مرحلة الكمال ولتفنى في الحقيقة المطلقة على سلك منهج الذوق لا العقل[2].

وأطلقوا على علمهم هذا عدة تسميات كعلم التصوف، العلم الباطن، علم الحقيقة، علم الوراثة[3]، وظهر ما يسمى بالطرق الصوفية، لكل طريقة شيخ معين يلتفون حوله الأوراد، فهي بمثابة مدارس يتلقى فيها السالكون آداب التصوف علما وعملا[4].

انقسم صوفية هذه المرحلة إلى تيارين الاتجاه الأول أقرب إلى ما كان عليه الزهاد الأولون مثله أبو القاسم الجنيد بن محمد المتوفي سنة ة. 297، وهو من صوفية القرن الثالث حفاظا على العمل بالنصوص الشرعية كان يحث التمسك بالكتاب والسنة.

أما الاتجاه الثاني، منهجهم شبه فلسفي اتجه أصحابه إلى الشطح والقول بالحلول والاتحاد مبتعدين بذلك على العقيدة الإسلامية.

يعتبر ذو النون المصري، أبو الفيض بن ثوبان إبراهيم المصري الذي توفي س245هـ، وقيل 246هـ، الواضع الحقيقي لأساسيات هذا التصوف الفلسفي الذي برز في القرنين الثالث والرابع الهجريين وانتشر فيهما بشكل واسع، حدد معالم الطريق ورتب مقامات الأحوال، كما أنه أول من أظهر اللغة الرمزية في العبارات الصوفية الخاصة بهم، والتي لم تكن من قبل ليحدث بذلك تحولا في مفهوم التصوف، حيث ظهرت مصطلحات وتعبيرات جديدة صوفية تحدثوا عنها كالمعرفة الذوقية بينو منهجها وآداتها، وعن المحبة الإلهية، حددوا معالم الطريق، رتبوا المقامات والأحوال كما تحدثوا عن التوحيد وعن الفناء الصوفي[5].

(1) -أبو الوفا التفتزاني، المرجع السابق، ص15.

(2) –أبو الوفا التفتزاني، المرجع نفسه، ص20.

(3) – نفسه، ص97.

(4) – نفسه، ص18.

(5) -د.عبد الله بن دجين السهلي، المرجع السابق، ص30-25.

أصبح التصوف في هذه المرحلة طريقا للوصول إلى المعرفة بعد أن كان طريقا للعبادة فقط[1]، واكتملت عناصر التصوف بمعناه الدقيق[2]، فالقرنين الثالث والرابع يعتبران العصر الذهبي للتصوف وأصغى وأرقى مراتبه[3].

المرحلة الثالثة:

كانت في القرن الخامس الهجري حيث اتخذ التصوف في هذه المرحلة اتجاها إصلاحيا برجوعه إلى طريق السنة والكتاب، عكس القرنين الثالث والرابع الهجريين الذين شاع فيهما التصوف شبه الفلسفي.

استمر الاتجاه السني أثناء القرن الخامس بشكل واضح في حين اختفى الاتجاه الثاني، ذلك راجع إلى تغلب المذهب السني بقيادة أبو الحسن الأشعري المتوفي سنة324هـ، الذي حارب الغلو والانحرافات والفساد الذي مس التصوف.

ويعتبر القشيري والهروى من أبرز صوفية هذا القرن الذين سلكوا نهج الإصلاح، فالمتأمل في "الرسالة القشيرية" يرى بوضوح غيرته على ما وصل إليه تصوف عصره من الانحراف من ناحية العقيدة أو من ناحية الأخلاق والسلوك، وحسب رأيه أن إصلاح التصوف لا يكون إلا بإرجاعه إلى عقيدة أهل السنة والجماعة، والاقتداء بالصوفية السنيين الذين كانوا في القرن الثالث والرابع كالجنيد والمحاسبي، ليظهر بعده الإمام الغزالي في النصف الثاني من القرن الخامس الذي انتمى إلى نفس مدرسة القشيري الأشعرية، تبنى فكره وسار على دربه[4].

ويعتبر الغزالي من أعظم صوفية الإسلام، وأكبر من دافع عن التصوف السني، أثر فيه بشكل كبير وجعل منه علما مبنيا على قواعد ومناهج من منطلق عقائدي معتدل، وطريقا

(1) -أبو الوفا التفتازاني، لمرجع السابق، ص99.

(2) -أبو الوفا التفتزاني، المرجع نفسه، ص141.

(3) -نفسه، ص95.

(4) -نفسه، ص145-148.

إلى الله والسنة بدايتها بمجاهدة النفس، ثم ترتقي النفس بالمجاهدة في مقامات هذا الطريق لتصل في الأخير إلى الفناء والتوحيد والمعرفة والسعادة[1].

كما أنه غني بوضع قواعد السلوك وآدابه على نحو مفصل مثل علاقة المريد بالشيخ، والخلوة والعزلة والجوع والسهر، الصمت والذكر.

تصوره لطريق على هذا النحو، وجعل للتصوف الإسلامي علما مكتملا، كان له تأثير كبير على من جاء من بعده من شيوخ الطرق الذي أعجبوا بفكره ومنهجه العلمي ولم يخرج مفهوم التصوف والطريق عندهم عن مفهوم الغزالي[2]، ويكتب بذلك الانتصار للتصوف والسني وانتشاره على نطاق واسع من العالم الإسلامي[3].

المرحلة الرابعة:

شملت هذه المرحلة القرنين السادس والسابع الهجريين رغم أن نفوذ التصوف السني ازداد في العالم الإسلامي من القرن السادس بفضل تأثير الإمام الغزالي، وظهور بعده صوفية كبار ساروا على دربه وكونوا لأنفسهم طرقا لتربية المريدين، ومنهم السيد أحمد الرفاعي المتوفي سنة570هـ، والشيخ عبد القادر الجيلاني المتوفي سنة651هـ، إلا أن هذا لم يمنع من ظهور مجموعة أخرى من شيوخ التصوف الذين مزجوا تصوفهم بالفلسفة، متأثرين بالفلسفة اليونانية خاصة مذهب الأفلاطونية المحدثة ومن بين هؤلاء المتصوفة، السهرودي المتوفي سنة 549هـ، ومحمد الدين بن عربي الفارض المتوفي سنة 638هـ، في ظل الانتشار الواسع للتصوف السني المعتدل وسيطرته على الساحة الإسلامية، حال دون بروز الاتجاه الفلسفي، ففي بداية القرن السابع الهجري تشكلت طرق صوفية سنية قادها شيوخ سلكوا طريق أسلافهم من السنيين وامتداد لتصوف الغزالي، من أبرزهم أبو الحسن الشاذلي المتوفي سنة 656هـ، وتلميذه أبو العباس المرسي المتوفي سنة 686هـ، وتلميذهما ابن عطاء الله السكندري المتوفي سنة 709هـ،

(1) -أبو الوفا التفتازاني، المرجع السابق، ص168.

(2) - أبو الوفا التفتزاني، المرجع نفسه، ص255.

(3) - نفسه، ص145.

وهم أركان المدرسة "الشاذلية"[1]، وكذلك عبد القادر الجيلاني مؤسس الطريقة "القادرية" والشيخ أحمد الرفاعي مؤسس الطريقة "الرفاعية".

وأصبح لفظ الطريقة يعني مجموعة من الأفراد ينتسبون إلى شيخ معين ويخضعون لنظام صارم ودقيق في السلوك الروحي، يعيشون حياة جماعية في الزوايا، والربط، يقيمون اجتماعات دورية في مناسبات معينة، ويعقدون مجالس العلم والذكر بانتظام[2].

كما أن لكل طريقة لباس معين يميزهم عن غيرهم من الطرق الأخرى بالقدرية مثلا، يلبسون الزي الأبيض والرفاعية لون لباسهم الأزرق الداكن أو الأسود[3].

الشيء الذي ميز هذه المرحلة ظهور التطور الصوفي والتوسع في المجال الروحي، ووصول التصوف لأول مرة لمنطقة إفريقيا جنوب الصحراء قادما من الأندلس، ومنه انتقل إلى المغرب العربي[4]. ممثلا بالطريقة الشاذلية[5].

(1) -أبو الوفا التفتازاني، المرجع السابق، ص18-19.

(2) -أبو الوفا التفتازاني، المرجع نفسه، ص236.

(3) –عبد الله بن الدجين السهلي، المرجع السابق، ص13.

(4) -فاطمة قارة، المرجع السابق، ص9-10.

(5) -أبو الوفا التفتازاني، المرجع السابق، ص239.

المبحث الثالث: ظهور التصوف في بلاد المغرب الإسلامي.

انتقل التصوف من المشرق الإسلامي إلى بلاد المغرب الإسلامي والأندلس وانتقلت معه حياة الزهد والتقشف وازدهرت فيه الرباطات والزوايا، وحسب عارفين بخبايا حركة التصوف في المغرب الإسلامي فانه ظهر في القرن الخامس هجري الموافق للقرن الحادي عشر ميلادي أثناء حكم المرابطين[1].

فبلاد المغرب الإسلامي كبقية أقطار العالم الإسلامي عرفت انتشار لظاهرة التصوف، حيث لعب المغرب الإسلامي دورا هاما في إثراء التجربة الصوفية في العالم الإسلامي وساهم في هذا الدور بشكل كبير مثله مثل أكبر البلدان الإسلامية مصر والعراق وبلاد الشام ولهذه الدول دور كبير في التطوير والإضافة لعلم التصوف[2].

إن انتقال التصوف إلى بلاد المغرب الإسلامي يرجع إلى مؤثرات متنوعة منها: التواصل مع المشرق عن طريق الرحلات لأسباب مختلفة كطلب العلم وأداء مناسك الحج والعمل التجاري وبهذا تم التواصل الصوفي والاتصال بأعلام التصوف والتتلمذ عليهم والاطلاع على مذاهبهم وكتبهم، بالإضافة إلى مساهمة دولة الموحدين في نشأة الحركة الصوفية في بلاد المغرب وانتشارها حيث فتحت المجال أمام التطور الفكري والعقلي وحتى العقدي في إدراك الله وصفاته[3].

لعب التأثير الأندلسي دورا هاما في وصول التصوف إلى بلاد المغرب الإسلام حيث شكلت الرحلة الأندلسية خاصة رجال التصوف العائدين من المشرق واستقرارهم ببلاد المغرب أو القادمين من الأندلس إلى بلاد المغرب بسبب رئيسي في انتشار التصوف وازدهاره وإقبال الناس على أفكاره وأعلامه، بالإضافة إلى انتشار الرباطات التي كان يجتمع فيها المسلمون

(1) -إسماعيل حنقوق، دور الطرق الصوفية في منطقة الأوراس 01844-1931م)، رسالة لنيل شهادة الماجيستر، تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010-2011م، ص24.

(2) -محمد الأمين شرويك، انتقال التصوف إلى بلاد المغرب الإسلامي، مجلة أفاق فكرية، ع06، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2017م، ص92.

(3) -محمد الأمين شرويك، المرجع نفسه، ص93-94.

للاشتغال بالعبادة والاهتمام بالزهد وكذلك اشتهرت بها المبادئ التربوية والعلمية، حيث أصبحت الرباطات مأوى للصوفية وازدهر وتطور النشاط الصوفي بها حيث اشتغل الشيوخ على تكوين المريدين وتربيتهم على الزهد والجهاد والتجرد من الدنيا والتركيز على الأوراد والأذكار.

يعود انتشار التصوف في بلاد المغرب الإسلامي لمجموعة من الأسباب والعوامل وهي:

-عوامل فكرية وذلك من خلال ظهور أعلام صوفية عملوا على نشر التصوف في بلاد المغرب الإسلامي وأثروا سلوكهم وعملهم ومؤلفاتهم مثل أبا مدين -الثعالبي-الشاذلي خاصة في المغرب الأوسط وارتيادهم المدن الساحلية مثل بجاية-وهران[1].

-عوامل سياسية حيث عرفت المنطقة اضطرابات وفوضى وعدم استقرار خاصة في ظل الدويلات الثلاثة المرنية والحفصية والزيانية والصراع بين الأسر الحاكمة والفتن هذا ما جعل الطبقة الشعبية تلجا إلى التصوف كوسيلة للتخلص من الأوضاع المتردية، هذا ما كان له أثر في تصديق الكرامات وتقديس الأولياء وانتشار ظاهره التصوف[2].

-عوامل اجتماعية وتتمثل في انتشار الترف عند طبقات معينه نتيجة الثراء الفاحش وتراجع القيم الدينية والأخلاقية حيث أهملوا مبادئ الدين وجاءت الصوفية من أجل محاربة هذا الانحراف[3]. بالإضافة إلى العامل الاقتصادي الذي يتمثل في الثراء الاقتصادي الذي عرفه المغرب الإسلامي ولجوء الأثرياء إلى التصوف تعبيرا على الزهد في الدنيا، كما أن تردي الأوضاع الاقتصادية أدى إلى انتشار التصوف على أساس أن الفقر والحاجة تعتبر من خطوات التصوف[4].

حركة التصوف التي ظهرت في المشرق الإسلامي كان لها حس قوي تجاوب معه المغرب الإسلامي في مطلع القرن السادس هجري حيث وجد التصوف مكانة ثانية بين علوم التدريس

(1) -إسماعيل حنقوق، المرجع السابق، ص25.

(2) -محمدالأمين شرويك، المرجع السابق، ص96.

(3) -إسماعيل حنقوق، المرجع السابق، ص26.

(4) -محمد الأمين شرويك، المرجع السابق، ص97.

الدينية وكثرت وازدهرت في الرباطات والمساجد والزوايا على يد شيوخ مارسوا التصوف بصدق وتحلوا برداء الزهد والتقشف وأصبحوا أقطاب بارزين وزهاد مشهورين بطرق صوفيه عديد[1]

خلاصـــة:

إن موضوع التصوف من الموضوعات الهامة التي أثارت جدلا بين الباحثين والعلماء في علوم الدين والحياة الروحية، فالاختلاف واضح في إيجاد تعريف موحد للتصوف، فالتصوف الإسلامي مر على عدة مراحل لعبت دورا كبيرا في تطوره وتطور مناهجه وأفكاره منذ ظهوره أواخر القرن الأول على شكل الزهد إلى حين وصوله لدول شمال إفريقيا من خلال تواصل مع دول المشرق عن طريق الحج والرحلات العلمية.

(5) -أحمد دركوش، مواقف الطرق الصوفية من الاستعمار في الجزائر وتونس(1830-1914)، القادرية والتيجانية نموذجا، مذكرة الماجيستر، تاريخ معاصر، جامعة الجزائر 02، 2010-2011، ص18.

الفصل الثاني

الطرق الصوفية في تونس ونشاطها

الفصل الثاني: الطرق الصوفية في تونس ونشاطها

المبحث الأول: الطريقة القادرية

المبحث الثاني: الطريقة التيجانية

المبحث الثالث: الطريقة الرحمانية

تمهيد:

عرفت الدولة التونسية في مراحلها التاريخية ظهور عدة طوائف وجماعات وفرق لكل منها طريقتها وتفكيرها وتعبيرها وتنظيم شؤونها الدينية والدنيوية، وكذا أساليب خاصة تختلف من طريقة صوفية لأخرى، شأنها شأن الدولة المغاربية الأخرى.

فاذا كانت الطريقة القادرية التي أسسها عبد القادر الجيلاني من الطرق الواسعة انتشارا في تونس والعالم الإسلامي عموما، فانه لزاما علينا معرفة ظروفها، وكيف كان تأثيرها على المجتمع التونسي، التي تعتبر نتاج تخمر مبادئ وأفكار وتجديد في المعاني الصوفية بنظرة محلية جزائرية مثلها أبو العباس أحمد التيجاني، كذلك الأمر بالنسبة للطريقة الرحمانية التي انتسبت إلى عبد الرحمان الأزهري، كان وصولها إلى تونس متأخرا مقارنة بالطريقة القادرية والتيجانية.

المبحث الأول: الطريقة القادرية

تعد الطريقة القادرية من أقدم الطرق الصوفية تأسسا وأولها ظهورا على مستوى العالم الإسلامي[1] حيث تنتسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني وهو محمد محي الدين عبد القادر بن أبي صالح المولود في مدينة جيلان* في مارس 470 هـ /1077م انتقل إلى بغداد عام 477 هـ/1095 م[2]، التي كانت تتميز بوجود كبار الفقهاء والعلماء و القمم العوالي من أجل التصوف كما كانت محط أنظار طلاب الدنيا و الدين، ففيها تتلمذ الجيلاني و تخرج على كبار شيوخها وصار عالما في الفقه و الحديث وترك للثقافة العربية الإسلامية مجموعة من الكتب و الرسائل أهمها : الفتح الرباني ، فتوح الغيب ، الغنيمة لطالب الحق[3]، كان أشهر علماء بغداد على الطريقة الحنبلية و لبس رداء الصوفية و العلماء بنى مدرسة لنفسه و اشتهر بالورع و تقواه[4]، فالطريقة القادرية تقوم على الأخلاق و العلم والصبر والإتقان وذكر الله و الابتعاد عن شؤون الدنيا و هي القاعدة الأساسية لمختلف الطرق الصوفية[5].

-توفي الشيخ عبد القادر الجيلاني عام 561 هـ /1135 م، بعدما ترك مجموعة من المؤلفات يعتمد عليها في معرفة مبادئ ومناهج الطريقة منها: الرسالة الغوتية، الحزب الكبير، فالطريقة القادرية تحتوي على مجموعة من الأذكار والأوراد يلتزمها اتباعها:

1-الحسبة: تتمثل في قول "حسبي الله الذي لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم"، "حسبا الله ونعم الوكيل " كل هذا مائتي مرة.

2-الاستغفار: "استغفر ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود" مائتي مرة.

3-الهيللة: "لا إله إلا الله " مائتي مرة.

(1)- صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق،ص143.
*-مدينة جيلان: يقال إنها تابعة لاقليم طربلسان بالعراق العجم وهناك من يقول إنها بلاد فاس. أنظر إلى: صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص 143.

(2) -عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، ط01، القاهرة، 2004، ص35.
(3)-صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص144.
(4)-عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص35 .
(5)-عباس كحول، المرجع السابق، ص49.

4-التصلية: "إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما" مئة مرة.

-وكذلك يقومون بأداء صلاة تحتوي على عدد معين من الركعات[1].

بعد وفاة عبد القادر الجيلاني قام أبنائه بنشر مذهبه وبدأ الناس يسيرون على نهجه وطريقته حيث أصبحت القادرية تلقى قبلا وتزايدا في اتباعها وعمل تلاميذ الجيلاني على نشر مذهبه في أجزاء كبيرة من الوطن العربي الإسلامي وصولا إلى القارة الإفريقية خاصة في شمال إفريقيا[2].

الطريقة القادرية من أقدم الطرق الصوفية وأهمها في البلاد التونسية[3]، انتشرت عن طريق الحجاج وطلاب العلم، وأول من نشرها في بلاد المغرب العربي هو الغوث أبو مدين شعيب* بعد أن التقى بالشيخ عبد القادر الجيلاني في مكة وعند رجوعه مر بتونس والتقى ببعض مشايخها مثل محمد الدباغ ويوسف الدهائي فأثر بهم وأصبحوا يزورون زاويته في بجاية خلال القرن الثاني عشر[4] .

انتشرت الطريقة القادرية في تونس وشملت معظم أنحائها حيث كان لها أتباع عديدون وصل عددهم سنة 1925 إلى 117,681 ويرجع سبب هذا التوسع أنها من أقدم الطرق الصوفية التي ظهرت في تونس حتى أن تأسيس زواياها كان متأخرا [5].

(1) -زهرة مسعودي، الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب افريقيا من القرن 20م، مذكرة ماجيستر، التاريخ الافريقي الحديث والمعاصر، جامعة أدرار، 2009-2010، ص50-51.
(2) -عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص35.
(3) -التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص39
*أبو مدين شعيب: أصله من اشبيلية، ولد سنة1146م غادر إلى طنجة ثم إلى سبتة ثم مراكش ثم فاس حيث أخذ التصوف عن عبد القادر الجيلالي ببغداد وعند رجوعه استقر ببجاية توفي س1197 وهو يعتبر قطب التصوف في المغرب الإسلامي. أنظر الى: قارة فاطمة، المرجع السابق، ص10.
(4)-محمد البهلي النيال، الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي، دار النجاح، تونس، 1965م، ص321-322.
(5)-التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص40. "أنظر للجدول الملحق رقم(01)".

سرعان ما انتشرت الطريقة القادرية في كامل مناطق البلاد مثل منطقة الجريد التي تعتبر مركزا هاما لها ومنها تفرعت إلى الجنوب الشرقي التونسي: قابس وجربة، مطماطة، مدين، تطاوين، ووصلت إلى طرابلس كما انتشرت في الجنوب الشرقي الجزائري والتوارق[1].

فالطريقة القادرية بقيت بدون زوايا* إلى غاية القرن الثاني عشر حتى ظهر الشيخ أبو حسن علي بن عمر الشايب المنزلي الذي انخرط في الطريقة القادرية عند مروره ببغداد على إثر زيارة الحج وأثناء رجوعه إلى تونس علم بدوره الشيخ محمد الإمام فحاولا معا نشر الطريقة القادرية في تونس ويعتبر محمود باشا من أول أتباع الطريقة حيث شرع في بناء أول زاوية للطريقة بمنزل بوزلفة بمعونة [2].

ولهذه الطريقة الكثير من الزوايا مثل زاوية سيدي منصور بقفصة وزاوية محمد بن إبراهيم بنفطة[3]، التي أنشئت عام 1843 م وزاوية نهج الديوان [4] بالإضافة إلى زاوية الكاف التي تعتبر من أهم الزوايا الموجودة بتونس التي أسسها الشيخ محمد الميزوني حيث شيع نفوذها على كامل الشمال الغربي في تونس، تمارس نفوذها على أولاد ماجر الفراشيش وأولاد بوغانم وصولا إلى سوق الأربعاء وطريقة بنزرت في الشمال [5].

ولهذه الزوايا نشاط اجتماعي مهم حيث استطاعت أن تنشط العلاقات بين أفراد المحيط الاجتماعي عموما وروادها خصوصا وبناء وتأسيس علاقات عن طريق حلقات الذكر والتعلم والزيارة[6].

(1) -سكينة عصامي، الطريقة القادرية بالجريد التونسي من النشأة إلى الاضمحلال (1843-1954) المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، م03، ع05، صفاقس، تونس، 2017، ص130.
*الزوايا: مفردها زاوية وهي مشتقة من الفعل "انزوى" بمعنى اتخذ ركنا ومأخوذة من الفعل "زوى " بمعنى ابتعد وانعزل، اصطلاحا: يطلق اسم الزاوية على مأوى المتصوفين والفقراء والمسجد غير الجامع الذي ليست فيه المنبر. أنظر إلى: أحمد دركوش، المرجع السابق، ص13-14.
(2)-قارة فاطمة، المرجع السابق، ص27.
(3)-عصام سكينة، المرجع السابق، ص132.
(4)-قارة فاطمة، المرجع السابق، ص28.
(5)-التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص42."أنظر إلى الملحق رقم 02".
(6)-أحمد دركوش، المرجع السابق،ص19.

أسهمت الطريقة في تحقيق الوحدة الروحية بين أفراد المجتمع وإزالة الفوارق الاجتماعية بين الفئات والشرائح الاجتماعية المختلفة والمساهمة في العمل الخيري الاجتماعي والتعليمي وتفعيل دور المسجد والزاوية وكذلك التكفل باليتامى والأرامل من خلال إيوائهم والتكفل بحاجاتهم، والمحافظة على عادات وتقاليد المجتمع من خلال مساهمة الزوايا في أحياء الأنشطة والاحتفالات الدينية [1].

ومن المهام البارزة التي قام بها أولياء الطريقة هي تخفيف وطأة المجاعة التي كانت تعم البلاد، والإطعام الذي تقوم به الزوايا لاسيما خلال الأزمات الاقتصادية وكذلك شحن النفوس بالغذاء الروحي وحث اتباعها على الصبر والرضا بقضاء الله وقدره، وتحبيب الفقر للعباد باعتباره الطريق إلى محبة الله والفوز بالجنة.

وللطريقة القادرية دعائم مادية أي ممتلكات متنوعة في تونس حيث استحوذت على أكبر نصيب من أملاك النخيل بالإضافة إلى الموارد الأخرى مثل: أحوال الزيارات وأحوال الإعفاء عن الضرائب ومداخيل النشاط التجاري وعائدات ملكية الدواب والمواشي[2].

(1)-أحمد دركوش، المرجع السابق، ص23.
(2)- سكينة عصام، المرجع السابق، ص135.

المبحث الثاني: الطريقة التيجانية

أسسها الشيخ أبو العباس أحمد بن المختار أحمد التجاني نسبة إلى قبيلة بن توجين التي استقرت قديما بقرية عين الماضي[1]. في الجزائر بالضبط جنوب جبل رداد وهي جزء من سلسلة جبال عمور على بعد مسافة اثنين وسبعين كيلو متر غرب مدينة الأغواط، تمثل اليوم احدى دوائر ولاية الأغواط ، وهي مسقط رأس الشيخ التيجاني[2]،ولد سنة 1150هـ / 1737م، نشأ وسط عائلة صالحة متشبعة بالعلم حرص والديه على تعليمه لأمور الدين والشريعة مند الصغر، حفظ القران و هو في سن السابعة من عمره على يد الشيخ العالم "محمد بن حمو التيجاني"، كما تتلمذ على يد عدة مشايخ أخرين أمثال الشيخ المبروك بن بوعافية والشيخ عيسى أبي عكاز المضاوي التيجاني لقنوه العلوم الأصولية والفرعية والأدبية، حتى تمكن منها وحصل معانيها، وأصبح يتوفر على خصائص القاضي والمفتي[3].

زوجه أبوه وهو في عمر الخامس عشر، بقيا يعيش مع والديه إلى أن توفيا بمرض الطاعون في يوم واحد سنة 1666 هـ/1753م، بعد وفاة والديه طلق زوجته وتفرغ لطلب العلم تأثر بكتب التصوف، وتراجم رجاله حيث قرأ الكثير من الكتب. التي كانت في عين الماضي ونواحيها[4]، ليميل إلى طريق الصوفية بحث عن الأسرار الإلهية وتعمق في فهم علومها والأحوال والمقامات والعلل، والوقت والحال، اشتغل بالطاعة وحببت إليه العبادة واتبع حياة الزهد، وأصبح يتوق إلى بلوغ مراتب عليا من التصوف.

(1) -صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص175.
(2) -بن يوسف التلمساني، الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر، رسالة لنيل شهادة الماجيستر، جامعة الجزائر، 1997-1998، ص57.
(3) -علي حرزام بن العربي براءة، جواهر المعاني وبلوغ الأماني، في فيض سيدي أبي لعباس، التيجاني، ج01، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ص24.
(4) -بن يوسف التلمساني، المرجع السابق، ص64.

التقى بعدة شيوخ وعلماء وصلحاء، وارتاد حلقات دروسهم في القرويين ومساجد فاس وزواياها، وانخرط في بعض الطرق الصوفية وأخذ أورادهم وأسرارهم لكنه امتنع عن التلقين. أخذ ورد الطريقة القادرية، والطريقة الطيبية الجزولية الشاذلية، وورد الطريقة الناصرية لكن سرعان ما ترك كل هذه الطرق لأنه لم يجد فيها ما يريد ويبحث، فهو كان يطمح الى تأسيس طريقة خاصة به[1].

بعدها رجع إلى الجزائر، انتقل إلى قرية الأبيض واستقر في زاوية سيدي عبد القادر مارس خلالها مهنة التدريس، ثم ذهب إلى تلمسان ومن تلمسان شد الرحال إلى البقاع المقدسة مرورا بعدة دول، حيث أقام في تونس سنة كاملة دخلها عام 1186، متنقلا بين سوسة وتونس قصد التعبد والتدريس[2]، وليكمل طريقه إلى القاهرة نزل فيها ضيفا على الشيخ محمد الكردي اخذ عنه الطريقة الخلوتية، ليصل بعد رحلة طويلة إلى مكة المكرمة أدى فريضته وأخذ عن علمائها في مقدمتهم الشيخ محمد عبد الكريم السمان الذي أخذ عنه أحزاب الشاذلي[3].

بذلك جمع الشيخ التيجاني خلاصة الطرق الصوفية الخلوتية والشاذلية والرحمانية.

بعد رجوعه من البقاع المقدسة نزل بتلمسان ثم تغلغل في الصحراء متنقلا من بلدة لأخرة إلى أن حط الرحال بقصر بوسمغل جنوب البيض فيه أسس الطريقة التيجانية ووضع أسسها ووضع ووردها[4]، يقول بأنه رأى الرسول صلى الله عليه وسلم يقضة لا مناما، وعين له وردا جديدا وأمره بتلقينه لكل من طلابه[5]

استطاع في ضرف ثمانية عشر سنة في إرساء طريقة جديدة، فأين ماحل أسس له زاوية، راسل الأمر وعامة الناس الفقهاء والتجار وشرح لهم طريقته، توسع نفوذ الطريقة التيجانية وارتفع عدد أتباعها لاسيما في الصحراء إلى لدرجة أنها أصبحت تتحكم في الطرق والقوافل

(1) -بن يوسف التلمساني، المرجع السابق، ص66-67.
(2) -د.عبد الله عبد الرزاق، المرجع السابق، ص61.
(3) - صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص176.
(4) -صلاح مؤيد العقبي، المرجع نفسه، ص177.
(5) -علي حرزام، المرجع السابق، ص51.

التجارية عبر الصحراء، كما أنها انتشرت في أوساط الطبقة الحاكمة بتونس، مما زاد في قلق باي الغرب الذي ضايق كثيرا الشيخ وطريقته[1]، ليقرر احمد التيجاني الهجرة مع أهله واتباعه إلى المغرب الأقصى سنة 1213هـ استقر بمدينة فاس، منحه سلطان المغرب، مولاي سليمان قصرا (بحوش المرايا)، ووفر له راتبا خاصا يكفيه ومن معه لينشأ بعدها زاوية له بمدينة فاس بحي البليدة فاس البالي وتفرغ الشيخ في نشر طريقته بين الناس الدين كانوا يحصرون مجالسة من كل حدب.

ممن أخد عنه الطريقة بفاس يومها العلامة التونسي الكبير الشيخ إبراهيم الرياحي الذي كان في سفارة للدولة التونسية لدى البلاط المغربي[2]، التقى بالشيخ أحمد التيجاني جلس معه طويلا وأخذ عنه الكثير، لتبدأ علاقة الطريقة التيجانية بالجامع الأعظم وبالنخبة العلمية بتونس مع شخص إبراهيم الرياحي[3]، بعد استقرار الشيخ التجاني في مدينة فاس، عمل على نشر طريقته في الأقطار المجاورة عن طريق رحلات أصحابه الذين قاموا بتلقين الطريقة التيجانية والإشادة بها أينما حلو، ومن بين هؤلاء الأصحاب هو تلميذه وصاحبه الشيخ علي حرزام* صاحب كتاب جواهر المعاني وهو من أقرب أصحاب التجاني.

زار تونس سنة 1211هـ1797 م[4]، وتعرف على إبراهيم الرياحي وأقام معه، توطدت علقتهما وتعلق السيد إبراهيم الرياحي بالشيخ حرزام وأعجب به كثيرا وبعلو مقامه، فاخذ عنه الطريقة وهو مازال طالبا حينها يبلغ من العمر تسعة وعشرين سنة. في هذا الموضوع يقول إبراهيم الرياحي "الحمد لله الذي من علينا بالاجتماع مع شيخنا العالم الهمام رأس العارفين –سيدي

(1)-بن يوسف التلمساني، المرجع السابق، ص72.
(2)-صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص78.
(3)-لطيف الزرقي، الطريقة التيجانية في تونس التاريخ والآفاق، دار الأهرام للطباعة والنشر، تونس، الطبعة الأولى، 2019، ص23.
*-علي حرزام: علي حرزام بن العربي براءة الفاسي (1218هـ-1804) من أبرز أصحاب الشيخ أحمد التيجاني، له الكثير من المآثر يتميز بكثرة ما كان يسجله عن الشيخ من المسائل وهو الذي جمع كتاب جواهر المعاني، توفي في المدينة المنورة في رحلة حجه ودفن في البقيع، أنظر الى: سكينرج (أحمد بن الحاج العياشي)، كشف الحجاب عن من تلاقى مع الشيخ التيجاني من الأصحاب، ص68-97.
(4)-د. لطيف الزرقي، المرجع السابق، ص22-23.

علي حرزام– فأخذنا عنه والمنة لله الطريقة التيجانية المنسوبة لشيخنا أمير الأولياء مولانا أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد، في أواسط جمادى الأولى من عام 1216هـ[1].

اجتمع إبراهيم الرياحي بالشيخ سيد أحمد التيجاني أثناء سفره إلى المغرب الأقصى سنة 1803–1804م لجلب الميرة[2]، جلس معه مطولا، كما بقيا معه في تواصل مستمر يتبادلان الرسائل، أما بالنسبة لأحمد التيجاني ،كان حريصا في توجيهه لهذا العلم لاستغلاله في نشر الطريقة وأرباحه وإرباح الناس به.

في زمانه كان من أوائل طبقات مدرسي جامع الزيتونة ولعب دورا في نشر سلوك الطريقة و تعاليمها أوساط علماء جامع الزيتونة، فقد كان مدركا للأثر الإيجابي الذي تحدثه الطريقة التيجانية بأفكاره الحديثة في التكوين المعرفي والوجداني للفرد وخاصة العلماء تولد فيهم الرغبة بالفعل والعمل و من أبرز هؤلاء العلماء الذين أخذو العلوم الدوقية والشريعة على يده واشتهروا بقيادة الطريقة التيجانية في تونس من بعده الأخوين الشيخ محمد بن محمد النيفر، فالطريقة الصوفية عموما في تونس كان لها دعم علمي كبير يصعب الدس والاستهانة بجانبها المعرفي وهو الأمر الذي ساهم في تسريع انتشار الطريقة التيجانية داخل أوساط المجتمع التونسي، لما يمثله علماء الزيتونة ، من قدوة حسنة يسعى الجميع الاقتداء بها والسير على خطاها[3]، فسرعان ما انتشرت زوايا الطريقة التيجانية وأورادها على كامل البلاد تقريبا وصل عدد المنتسبين لها سنة 1891 م أربعين ألف متركزين خاصة في الوسط والجنوب، وبلغ عدد الزوايا في 1925 م 24 زاوية ومن أهم هذه الزوايا زاوية

الشيخ إبراهيم الرياحي التي كانت قرب حوانيت عاشور، وهي تعتبر أول زاوية للطريقة التيجانية بتونس[4]، وكذلك زاوية برج الراس، قرب جامع الفاطميين بمدينة مهدية ويعود تأسيسها إلى بداية القرن العشرين[5].

(1) -بن يوسف التلمساني، المرجع السابق، ص107.
(2) -أحمد بن أبي الضياف، اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج03، الدار العربية للكتاب، تونس، ص39.
(3) -لطيف الزرقي، المرجع السابق، ص26-31.
(4) -التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص42، "أنظر للملحق رقم(03)".
(5) -د. لطيف الزرقي، المرجع السابق، ص37.

منذ ظهور الطريقة التيجانية في البلاد التونسية لعبت دورا هاما وإيجابيا اكسبها مكان اجتماعية ودينية وأخلاقية عالية فكونها حركة إصلاحية ذات طابع ديني سني[1]، وأفكارها المعاصرة التي ساعدت علماء الزيتونة بقيادة الشيخ إبراهيم الرياحي في تأطيرهم على الجانب الوجداني والمعرفي ولدت فيهم الرغبة في الفعل والعمل والأخذ بالزمام المبادرة تطبيقا لقول الشيخ احمد التيجاني بسير زمانك سر أطلق على الشيخ إبراهيم رياحي انه أب النهضة التي بدأت في أواسط العصر الحسيني بنقده وتوجيهه وكثرة الشيوخ الذين تخرجوا على يده ونوروا والنصف الثاني من القرن 19 ولعبوا دورا كبيرا في التمهيد لحركة الإصلاح التي قام بها خير الدين[2]، وكذلك ثورة علي بن غداهم التي قادها ضد البايات الذين أثقلت كاهل التونسيين بالضرائب وتطبيقهم الدستور العام 1860 مما جعل الناس يلتقون حول زعماء طريقة التيجانية وإعلان ثورة من اعنف الثورات وكان زعيمها هو علي بن غداهم الذي يعتبر احد رجال الطريقة التيجانية تكللت هذه الثورة بالنجاح وقام رئيس الوزراء مصطفى خزنة بتهدئة القبائل الثائرة ووعدهم بقبول مطالبهم وإعلان العفو العام وتخفيض الضرائب فبذلك لعبت الطريقة دورا هاما في الحياة السياسية في البلاد[3].

كما لا ننسى نشاطها الديني ودوره في الحفاظ على الهوية الإسلامية وتعليم الموردين المزج بين العلم والفقه وكشف الحقائق عن العلم الظاهر والباطن وبذلك يتسنى لهم الموازنة بين الحياة الجسمية والحياة الروحية[4].

ولكون ارتباط جامع الزيتونة كمؤسسة علمية بالطريقة التيجانية إلى أن تم إنهاء التعليم الزيتوني كتعليم رسمي لدولة التونسية إلى أن الزاوية التي جانبه كانت تساهم في دعم المؤسسة الزيتونية بل وساهمت أيضا في إنشاء بعض الفروع [5].

(1) -أحمد دركوش، المرجع السابق، ص48.
(2) -لطيف الزرقي، المرجع السابق، ص25-26.
(3) -عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص70
(4) -أحمد دركوش، المرجع السابق، ص49.
(5) -د. لطيف الزرقي، المرجع السابق، ص30، "أنظر للملحق رقم(04)."

المبحث الثالث: الطريقة الرحمانية

الطريقة الرحمانية هي طريقة دينية صوفية تفرعت عن الطريقة الخلواتية*، سميت بالرحمانية نسبة لمؤسسها الشيخ محمد بن عبد الرحمن القشتولي الجرجري الأزهري، ولد سنة 1720م بقبيلة "آيت إسماعيل" من قبائل جرجرة درس في مسقط رأسه بزاوية "الشيخ الصديق والأعراب" ثم واصل تعلمه في الجزائر العاصمة[1]، ذهب إلى المشرق وبقي هناك حوالي ثلاثون سنة، تلقى تعليم الخلواتية في القاهرة وهناك من يقول بمكة على يد الشيخ محمد بن سالم الحفناوي ، وأمره هذا الأخير أن ينشرها في الهند والسودان، كان يتواصل ويراسل تلاميذه في الجزائر ويعلمهم مبادئ الخلواتية التي تتحدث عن التصوف وأهل التصويف ومراتب الغوث والقطب التي أصبحت بدورها أصول للطريق الرحمانية ،عاد عبد الرحمن الأزهري إلى مسقط رأسه بالجزائر بقريه ايت إسماعيل بجرجرة لنشر أفكاره وطريقته بين أهل بلاده[2].

أنشأ زاويته هناك بالقرب من يوغني بتيزيوزو لنشر التصوف والتعليم وسرعان ما زاد اتباعه فانتقل للجزائر العاصمة لتوسيع دائرة نشاطه ودعوته (3).

انتشرت تعاليم عبد الرحمن الأزهري في الجزائر خاصة في شرقها ووسطها وتونس المجاورة له ويبدو أنها انتشرت بين الفقراء وسكان الأرياف عن طريق الشعراء في الأماكن العامة للمدن وكذلك انتشرت في الصحراء الشرقية والجريد التونسي (4).

توفي عبد الرحمن الأزهري بمسقط رأسه ودفن بآية إسماعيل في زاويته وقبل وفاته عين خليفته الشيخ سيدي عيسى المغربي وأجاز على الشرق الجزائري الشيخ عبد الرحمن بن إلياس لنشر دعوته والشيخ محمد بن عزوز في الجنوب الشرقي والزيبان وحتى تونس(5).

*-الطريقة الخلواتية: هي فرقة قائمة على الاحترام المرشد تقوم بتدريب الدراويش والتشجيع على الانفرادية أصولها غامضة وغير معروفة، لا يعرف مؤسسها مثل باقي الطرق. أنظر إلى: سعيدة زيزاح، ظاهرة الطرق الصوفية والتفسير الاجتماعي في المجتمع الجزائري، مجلة الباحث، جامعة الأغواط، ع11، الجزائر، 2012، ص194 .

(1) -سعيدة زيزاح، المرجع السابق، ص197-198.

(2) -أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830م، ج01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص507.

(3) -عباس كحول، المرجع السابق، ص61.

(4) -أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج01، المرجع نفسه، ص508.

(5) -عباس كحول، المرجع السابق، ص62. "أنظر للملحق رقم05".

دخلت الطريقة الرحمانية إلى تونس عبر منفذين المنفذ الأول في الشمال الغربي وهو مدينة الكاف حيث أرسل عبد الرحمن الأزهري أحد أتباعه وهو الشيخ مصطفى طرابلسي ليؤسس زاويته لكنه توفي فتولى الأمر من بعده الشيخ أحمد بن علي بوحجر والذي تمكن من إقامه زاوية رحمانية بين سنتي 1784 و1785م[1]، أصبحت تعتبر هذه الزاوية الأم وعنصر لجذب مئات من الراغبين في السلوك والترقي حتى وصل عدد مريديها في أواخر القرن 19م وتحديدا سنه 1896 ميلادي 3000 مريد [2].

أما المنفذ الثاني الذي دخلت منه الطريقة الرحمانية هو مدينة نفطة [3]، ذلك انه بعد احتلال الفرنسي لجهة بسكرة بالجزائر سنة1843 غادر الشيخ محمد بن عزوز واستقر بنفطة أين أسس زاويته الرحمانية والسرعان ما تحولت إلى أكبر الزوايا بمنطقة الجريد والوسط الغربي [4].

تحولت الزاوية وأصبحت محج للمهاجرين والرحمانيين والمجاهدين حيث يرجع الباحثون أن سبب تأسيس هذه الزاوية هو مواصلة الجهاد ضد المحتل واتخاذ الزاوية قاعدة خلفية للمجاهدين وجمع السلاح والمال وإمداد الثوار في الحدود التونسية الجزائرية أي أن الثورة لم تكن في الجزائر فقط بل كانت مرتبطة متضامنة في كامل البلاد المغرب العربي.

بعد وفاة بن عزوز قام على الزاوية الأزهري، أما الأحفاد بالقصرين وتونس العاصمة أما محمود بن عبد الحفيظ أسس زاوية بالجنوب التونسي وابن عزوز أخ مصطفى فقد أسس الزاوية بالقيروان حيث توجد عدة زوايا رحمانية مثل زاوية سيدي إبراهيم الحفناوي وزاوية تالة للحاج مبارك حتى قارب عدد الزوايا الرحمانية بتونس 100 زاوية ووصل عدد الأتباع الى 350 الف وبالنسبة للزاوية نفطة فلها 16,591 من الأتباع إضافة إلى 90 زاوية[5].فالزاوية

(1) -التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص51.
(2) -محمد الرزقي، الزاوية الرحمانية بسليانة وأشكال مقاومتها للاستعمار، مجلة الاتحاف، ع226، سليانة، تونس، مارس، 2013، ص27.
(3) -التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص51.
(4) -محمد الرزقي، المرجع السابق، ص27.
(5) -عباس كحول، المرجع السابق، ص89-90.

الرحمانية من أهم الطرق التي انتشرت وتوسعت في تونس وقامت بتأسيس الزوايا حيث كانت تعد سنة 1925 حوالي 114.761 تابعا الموزعين على أغلب الجهات[1]

كان لهذه الزوايا مدارس للتعليم بالإضافة لدورها الديني والاجتماعي[2]. فهي التي ساهمت في تحقيق الوحدة بين أفرادها وإزالة الفوارق الاجتماعية والمساهمة في الأعمال الخيرية الاجتماعية والعلمية والمحافظة على العادات والتقاليد بالإضافة إلى نشر الأمن والسلم والتحقيق الوحدة الروحية بين أفراد المجتمع[3]

نتشار الطرق الصوفية في تونس لم يقتصر على الطريقة الرحمانية المتفرعة من الطريقة الخلواتية وهذه الأخيرة هي الطريقة الأصلية وكذلك الطريقة التجانية التي تعتبر من الطرق القديمة الأصلية في البلاد التونسية فبدورها تفرعت إلى مجموعة من الطرق تختلف في أسمائها نسبة لمؤسسها في حين تتشابه في مبادئها[4] ومن الطرق الفرعية التي ظهرت في تونس تذكر ما يلي:

الطريقة الشاذلية: تفرعت عن الطريقة القادرية ويرجع تأسيسها على يد الشيخ بو الحسن علي بن عبد الله الشاذلي الذي ولد عام 1196 م[5]في قبيلة غمارة قرب سبتة في المغرب الأقصى أخذ تعليم شيخه ابن مشيش وهو شاب توجه إلى قريه شاذلة خارج عاصمة تونس وهناك من يقول انه استقر في جبل جلاس واختلى فيه[6]، فهذه الطريقة تنسب إلى اسمه فهي المتولدة عن القادرية و تعتبر الطريقة الأم الثانية لجل الطرق الفرعية التي وجدت بالإيالة[7].

الطريقة المدنية: تولدت هذه الطريقة عن الدرقاوية المتفرعة بدورها عن الطريقة الشاذلية وقد سميت بالمدنية نسبة إلى مؤسسها ظافر المدني، أسس عدة زوايا خاصة بطرابلس الغرب كما زار تونس وأسس زاوية الشيخ أبي عبد الله بصفاقس ولم يكن لي هذه الطريقة اتباع كثيرون في البلاد التونسية وقد يعود ذلك لعلاقتها مع السلطان عبد الحميد [8].

(1) -التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص52. "أنظر للملحق رقم06"
(2)-سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، ج04، ص153.
(3)-أحمد دركوش، المرجع السابق، ص21.
(4) -التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص45-49.
(5) -عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص21.
(6) -أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج04، المرجع السابق، ص66.
(7) -التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص45، "أنظر كذلك الملحق07".
(8) -التليلي العجيلي، المرجع نفسه، ص47.

-**الطريقة العيساوية:** من فروع الشاذلية ومؤسسها هو محمد بن عيسى دفين مكناس بالمغرب الأقصى وقد اشتهرت العيساوية بين العامة على أنها من الطرق المهرجة فهي تمارس ظاهريا أعمال لا علاقة لها بالتصوف والعبادة كالرقص وأعمال العنف، دخلت إلى تونس من المغرب الأقصى منذ القرن 16 ميلادي وأصبحت أكثر انتشارا [1].

-**الطريقة الشابية:** هذه الطريقة ترجع إلى أحمد علي الشابي مؤسس الطريقة الناصرية أحد فروع الشاذلية حيث نشرها في المدنية شابه التي نسبت إليها ومجال انتشارها في تونس اقتصر على نفطة[2].

-**الطريقة السنوسية:** تنسب إلى محمد بن علي سنوسي الخطابي الحسني الإدريسي ولد سنة 1202هـ/1787م بمستغانم، يعود سبب اشتهاره بسنوسي إلى جده الذي لقب نفسه بذلك تبركا بالشيخ الإمام محمد بن يوسف سنوسي عالم تلمسان سافر إلى عدة دول عربية مثل المغرب الأقصى وتونس طرابلس ،القاهرة وصولا إلى مكة المكرمة، أين أسس طريقته الجديدة حيث انتشرت زوايا سنوسيه بسرعة في ليبيا وتونس وأيضا الجزائر حيث تقوم تعاليمها على الدعوة الإسلامية والعمل بالكتاب والسنة أما في تونس فقد انتشرت تعاليم السنوسية بسرعة وتوجد لها زاوية بالجريد التونسي تسمى العرب وقد عرفت بعدائها للاستعمار الفرنسي والعمل على مقاومته[3].

للطرق الصوفية في تونس دعائم وموارد اقتصادية قوية تتمتع بها تتمثل في:

***الممتلكات العقارية:** تتكون من البساتين والأجنة والأراضي الزراعية عن طريق الوقف التي تنتج عنها مداخيل ضخمة تتمثل في الأشجار المثمرة حيث تنتشر خاصة في الجنوب بالإضافة إلى الأراضي الزراعية وتتوزع على كامل أنحاء تونس خاصة في الشمال والوسط الغربي.

***الممتلكات المنقولة:** تتمثل في رؤوس الأموال المتجمعة لدى مشايخ الطرق الناتجة عن طريق الزيارات، يقصد الناس الزوايا مرتين في السنة بصفة رسمية حاملين معهم عطايات

(1)-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج04، ص84.
(2)-أحمد دركوش، المرجع السابق، ص31.
(3)-سعود دحدي، البعد الجهادي المغاربي للطريقة السنوسية(1844-1931)، شهادة ماجيستر، التاريخ المعاصر(أوروبا-المغرب)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، 2009-2010م، ص10-12.

نقودا بالإضافة إلى الإعانات وتتمثل في مبالغ مالية تدفع في شكل جمعيات دورية تخص الزوايا [1].

من الصعب التعرف على الحقيقة الاقتصادية للطرق الصوفية بصفة مضبوطة لأن ممتلكاتها تنقسم إلى قسمين منها ممتلكات قارة وهي الاحباس وغير قارة تتمثل في المداخيل عن طريق الزيارات وفي هذا النوع بذات من المداخيل تكون الصعوبة لأن التقارير الحسابية شبه منعدمة أو نادرة في هذه الأوساط [2].

للطرق الصوفية قوة بشرية هائلة بالنسبة للنفوذ الذي تمثله حيث قدر تعدادها حوالي 306 937 من الاتباع سنة 1925 أي سدس بلاد تونس الذي يبلغ عددهم 1890000 حسب تعداد 1921 ميلادي، فعدد الاتباع يختلف تبعا للطرق وللمناطق وتعتبر الطريقة القادرية أهم طريقة في البلاد تليها الطريقة الرحمانية ثم العيساوية في حين نجد أقل عدد لدى الطريقة المدنية كما نجد أن التوزيع الجغرافي لهذه الطرق يختلف من منطقة إلى أخرى فمعظم الطرق تتركز في الشمال الغربي والوسط الغربي والكاف الاتباع عكسا للمناطق الساحلية.[3]

(1)-التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص57-58.
(2) -لطيف الرزقي، المرجع السابق، ص40، "أنظر للملحق رقم08."
(3) -التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص67-68،" للمزيد أنظر الى جدول الملحق رقم(9)".

خلاصة:

من خلال هذا الفصل تبين أن وصول تصوف إلى تونس كان عن طريق المناطق المجاورة لها المغرب والجزائر خاصة ، حيث ظهرت طرق أصلية مثل الطريقة القادرية التي تأسست على يد الجيلاني عبد القادر ودخلت إلى تونس عن طريق ابن مدين شعيب الجزائري الأصل والطريقة التيجانية المؤسسة على يد التيجاني بالإضافة إلى الطريقة الرحمانية المتفرعة من الطريقة الخلواتية ومؤسسها هو عبد الرحمن الأزهري الجرجري الجزائري فالطريقة القادرية والتيجانية والرحمانية من أهم الطرق التي عرفتها تونس تركزت خاصة في الشمال الغربي والوسط الغربي وأنشأت زوايا التي كان نشاطها جد فعال في تحقيق الوحدة الروحية والدينية للمجتمع التونسي .

الفصل الثالث:

السياسة

الاستعمارية

والطرق الصوفية

الفصل الثالث: السياسية الاستعمارية والطرق الصوفية

المبحث الأول: فرض الحماية على تونس

المبحث الثاني: السياسة الاستعمارية ضد الطرق الصوفية

المبحث الثالث: أثر السياسة الاستعمارية على الطرق الصوفية

تمهيد:

كانت فرنسا قبيل انتصاب حمايتها على تونس تحت تأثير هزيمة 1870م، عاجزة عن استرجاع مقاطعتي الألزاس واللورين من ألمانيا، ليتحتم عليها إتباع نوع من سياسة من العزلة والانزواء على نفسها، وفي نفس الوقت كانت تتخبط في أزمة اقتصادية تتمثل في تراكم البضائع المصنعة ورؤوس الأموال الناجمة عن ضيق السوق الداخلية وغلق الأسواق الأوروبية بسبب الحواجز الجمركية.

بحكم هذه الظروف عقدت فرنسا العزم سنه 1881م بعد فترة من التردد على الخروج من انكماشها للدخول في سياسة توسعية استعمارية تمكنها من الحصول على أسواق جديدة لبضائعها ورؤوس أموالها المتراكمة، وكذلك استرجاع مكانتها بأوروبا التي فقدتها منذ هزيمتها على يد ألمانيا، ذلك ما تحقق بإعلانها فرز الحماية على تونس في 12 ماي 1881م، الشيء الذي سبق قيام فرنسا بهذه الخطوة هو إجراء لعدة أبحاث ودراسات علمية عن الإيالة التونسية، شملت جميع المجالات وذلك من اجل رسم سياسة استعمارية تتلاءم وتتماشى مع مقومات وخصائص الشعب التونسي، وفي تلك الفترة كانت الطرق الصوفية تمثل أهم تنظيم في البلاد يتمتع بنفوذ مادي وأدبي كبير وقاعدة شعبية عريضة، فهي بذلك يمكن أن تشكل خطرا على مصالح فرنسا الاستعمارية، وفي نفس الوقت إذا أحسنت فرنسا معاملتها وكسبها ستكون أداة ناجحة لاستغلالها في تطبيق مخططاتها التوسعية.

المبحث الأول: فرض الحماية على تونس

-كانت وضعية تونس في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تثير مطامع القوى الأوروبية الكبرى أمثال فرنسا، وبريطانيا، وحتى إيطاليا، أبدت هذه الدول اهتماما كبيرا بالإيالة، خصوصا وأن اهتمامها كان تتحكم فيه عوامل اقتصادية واستراتيجية وسياسية، فتونس لا تبعد سوى 140 كلم عن صقلية تكون معها المذيق الفاصل بين حوضي البحر الأبيض المتوسط.

-أكسبها هذا الموقع مكانة استراتيجية كبرى وصار يمثل أهمية بالغة إذا يسمح بمراقبة طريق السفن في البحر الأبيض المتوسط من غربه وشرقه، مما يسهل مراقبة التجارة المتوسطية، بل يسمح أيضا بمراقبة تجارة الشرق الأقصى في ظل توفر قناة السويس [1].

بعد مؤتمر برلين الذي انعقد في 13 جوان 1878، وشهد قمة الإمبراطورية العثمانية، حرص بريطانيا واهتمامها بالبحر الأحمر وقناة السويس الممر المائي الذي يشكل أهمية بالغة بالنسبة إليها إذ يسهل عليها الوصول لمستعمراتها في الهند بأقل تكلفة ويختصر عليها الطريق لهذا الاعتبار عملت على صرف أطماع فرنسا في الاستيلاء على مصر وشجعتها في الاستيلاء على تونس وضمها لمستعمراتها لتضمن بريطانيا سيطرتها على مصر وتحقق ذلك سنة1875،عند شراء بريطانيا أسهم إسماعيل الخديوي التي كان يمتلكها في قناة السويس و سيطرت بذلك على الملاحة في القناة التي أصبح 75% من السفن المارة بها تابعة لبريطانيا كما أن بسمارك رئيس مؤتمر برلين فقد شجع فرنسا على احتلال تونس، سعيا منه لعزلها عن أوروبا وينسيها التفكير في منطقتي الألزاس واللورين(2).

أما فرنسا في تلك الفترة كانت لا تزال تحت تأثير هزيمة سنة1870، فالرأي العام الفرنسي كان اهتمامه موجها نحو الحدود الألمانية واحتمال شن حرب على ألمانيا لاسترجاع مقاطعتي الألزاس واللورين مازال واردا.

كما أن تأييد بسمارك لدخولهم تونس اعتبروه مناورة يقصد من وراءها المستشار الألماني تعكير العلاقات الفرنسية الإيطالية، فهذه الأخيرة أيضا كانت لديها مطامع في احتلال تونس(3)

(1) -علي المجهوبي، انتصاب الحماية الفرنسية على تونس، د-ط، دار سراس للنشر، تونس،1866م، ص44.

(2) -التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص -ص113-114.

(3) -علي المحجوبي، المرجع السابق، ص36.

إلا أن الضغوط التي سلطها رجال الأعمال والمضاربين على الديون التونسية والحزم الذي أظهرته إيطاليا فيما يتعلق بأعمالها في الإيالة أسباب دفعت فرنسا لإعادة التفكير في القضية التونسية خاصة وأنها تبحث
عن أسواق جديدة لكي تصدر الأموال والبضائع التي تكدست في أسواقها الداخلية وكذلك بحثها عن مناطق استثمار جديدة لتخرج من حالة الركود الاقتصادي الذي تعيشه.[1]

بذلك تجاوزت فرنسا العراقيل الخارجية لاحتلالها الإيالة، وقامت بوضع خطة مرحلية تقضي باحتلال المناطق الشمالية وفرز معاهدة على الباي كمرحلة أولى ثم إتمام إلحاق بقية مناطق التراب التونسي كمرحلة ثانية.[2]

–أما ذريعة دخولها للإيالة التونسية هو من أجل حماية الحدود الجزائرية التي حسب ادعائها تتعرض للهجوم من طرف القبائل التونسية باستمرار خاصة قبائل بني خمير وأخر حدث سجل في هذا المجال تمثل في اغتيال مواطن من منطقة أولى سدرة التونسية ينتمي إلى قبيلة بن خمير، تم اغتياله في مقاطعة قسنطينة في فيفري 1881 جرت إثره عدة مناوشات بين قبيلة ناهدا الجزائرية وقبيلة بن خمير، مما دفع القوات الفرنسية للتدخل.[3]
استغلت دخول 300 مسلح من سكان خمير إلى التراب الجزائري لتحرك قواتها نحوهم[4] فوقعت مواجهة بين الجيوش الفرنسية والقبائل التونسية القاطنة على الحدود يومي 30 و31 مارس، واستغل "جول فيري" هذه الفرصة وطرح المسألة أمام البرلمان وطلب إعانات مادية قدرت ب خمسة ملايين فرنك من أجل القيام بحملة عسكرية على تونس من أجل تأديب تلك القبائل وردعها، صادق البرلمان على ذلك في 7 أبريل 1887 بدون أي اعتراض، وفي 24 أبريل من سنة 1881 توغلت كتيبة فرنسية تضم 35,000 رجل إلى البلاد التونسية بقيادة الجنرال "لوجيرو" احتلوا مدينة كاف في 26 أبريل، وسوق الأربعاء في التاسع والعشرين من نفس الشهر، وبعدها عين الدراهم في 11 ماي.

(1) -علي المحجوبي، المرجع السابق، ص36-37.
(2) -التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص115.
(3) -علي المحجوبي ،المرجع السابق ،ص40.
(4) -أحمد دركوش، المرجع السابق، ص63.

وفي نفس الوقت قامت وحده المشرق البحرية بقصف مدينة طبرقة بالقنابل وإعلان احتلالها في 26 ابريل، وفي 1 ماي وصلوا إلى مدينة بنزرت التي استسلمت بدون أي مقاومة. وفي 8 ماي 1881 زحف الجنرال بريار إلى مدينة تونس.[1]

ما إن مضى شهر حتى احتلت القوات الفرنسية معظم المواقع و المدن الرئيسية في تونس معلنة بذلك إنهاء استقلال البلاد ولم يبقى سوى إمضاء المعاهدة،[2] التي أبرمت في 12 ماي 1881 عندما قابل الجنرال بريار ومعه القنصل "روسطان" الباي في قصر باردو،[3] سلموا له نسختين من المعاهدة وأعطوه مهلة أربع ساعات لإعطاء قراره النهائي، وقع الباي في الساعة الثامنة من يوم 12 ماي 1881 على المعاهدة التي سميت بمعاهدة باردو والتي تكرس الهيمنة الفرنسية على تونس.[4]

توفقت بنود معاهدة باردو إلى استنباط حل وسط بين وضعية الاستقلال ووضعية الإلحاق، في فرنسا اعترفت بسيادة الباي، ولكن قيدت سلطاته في الميدان المالي، كما أنها أصبحت تنوب عنه في العلاقات الخارجية[5].

كما أن هذه المعاهدة تعد أول خطوة قام عليها نظام الحماية*، رغم أنه لم يذكر في نصها لفظة الحماية فقد نصت على أنها معاهدة ود وصداقة لاغير، إلا أنها على ارض الواقع كرست الحماية، واعتدت بموجبها فرنسا على السيادة الوطنية التونسية داخليا وخارجيا[6]

(1) -علي المحجوبي، المرجع السابق، ص40.

(2) -ميشال حداد وعاطف عيد، قصة تاريخ الحضارات العربية، د-ط، ص66.

(3) -علي المحجوبي ،المرجع السابق ،ص44.

(4) -أحمد دركوش، المرجع السابق، ص63. "للمزيد أنظر للملحق رقم10".

(5) -أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر (1881-1956)، ط1، الشركة التونسية للتوزيع، تونس،1986، ص9.

*الحماية: وهي أن توضع دولة بمقتضى معاهدة تحت كتف دولة أخرى لتقوم بحمايتها من الاعتداء. أنظر إلى: فاطمة قارة، المرجع نفسه، ص40.

(6) -علي البهلوان، تونس الثائرة، د-ط، مؤسسة هنداوي، س ياس سي، المملكة المتحدة،2018، ص 108.

وفي سنة 1883م شهدت تونس تجديدا وتطورات على مستوى النظام السياسي خاصة بعد توقيع المعاهدة الثانية وهي معاهدة المرسى في 8 جوان 1883م، أكدت هذه المعاهدة نوايا فرنسا الاستغلالية الاستعمارية، كما أعلنت عن لفظ الحماية في نص معاهدة المرسى لتبدأ بذلك مرحلة جديدة من تاريخ تونس تحت تصرف التبعية الفرنسية.[1]

(1) -فاطمة قارة، المرجع السابق، ص41.

المبحث الثاني: السياسة الاستعمارية ضد الطرق الصوفية.

اهتمت فرنسا بالواقع الداخلي للبلاد التونسية في إطار التحضير والتمهيد لدخولها وإلحاقها بمستعمراتها، فعملت على جمع معلومات مفصلة عن البلاد، عن طريق مجموعة دراسات ركزت على الجانب الطبيعي والديمغرافي لتونس، وكذلك تحديد مواقع القبائل وتبيان أهميتها وعدد أفرادها وقوتها العسكرية، كما كانت هناك دراسات حول الطرق في الإيالة تمكنت من خلالها فرنسا من كشف جوانب مهمة عن الواقع الطرقي للإيالة وتركيبته الداخلية التي تتميز بالعلاقة الروحية المتينة بين الأتباع ومشايخهم، ولما يمتلكه هؤلاء المشايخ من نفوذ وثروات مادية، وعلاقة الطرق ببعضها البعض، وما قد تشكله من خطر على مصالحها الاستعمارية، فهي تعرف جيدا خطورة الطرق الصوفية بحكم تجربتها الاستعمارية في الجزائر [1].

اعتبرت هذه الجوانب منطلقا وأرضية ارتكزت عليها السياسة الاستعمارية الفرنسية، عند فرض الحماية، اتجاه الواقع الطرقي للإيالة من اجل الإحاطة به والعمل على تحجيم الطرق وتقويضها، واحتواء البعض منها واستغلالها في توظيفها لخدمة مصالحها الاستعمارية [2].

إن العلاقة التي تميز الطريقة بزواياها سواء داخل البلاد أو خارجها والتي يميزها الاتصال الشبه الدائم بينهم دفع فرنسا إلى فرض مراقبة مشددة على الطرق بالدرجة الأولى على المشايخ وذلك على عدة مستويات بتطبيق إجراءات إدارية على الشيوخ من أبرزها [3]:

***تسمية مشايخ الطرق:**

فالمترشح لأن يكون شيخ زاوية، فرض عليه تعمير بطاقة إرشادات تتضمن معلوماته الشخصية، ومواقفه السياسية، بالإضافة إلى رأي كل من العامل والمراقب المدني فيه كما يجب أن يتضمن ملف المترشح على بطاقة قيس* وبطاقة عدد، لمعرفة خلو سجل المترشح من

(1) -التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص79.

(2) -لطيف زرقي، المرجع السابق، ص50.

(3) -التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص85.

*بطاقة قيس: تصدر بطاقة قيس عن مصلحة الهوية العدلية، ويرسم بها كل ما يتعلق بالشخص ذاته، وهي لا تسلم إلا بالطلب صريح من السلطة القضائية. للمزيد أنظر إلى: التليلي العجيلي، المرجع نفسه، ص89.

السوابق العدلية. تقنين هذه الإجراءات مكن السلطة الاستعمارية من اختيار نوع معين من المشايخ الذين يحضون بمكانة اجتماعية ولهم نفوذ على السكان حتى تتمكن من توظيفهم لصالحها.

من بين أهم الشيوخ الذين قبلت ترشحهم "علي بن المنور" المترشح لخطة شيخ زاوية القادرية بكوكة [1]، وفي المقابل تم إقصاء عدد من المترشحين المشبوه فيهم لعدم وضوح ولائهم وتبعيتهم المطلقة للاستعمار، أو لوجود علاقة تجمعهم مع أطراف معادية لفرنسا، حتى ولو كانت مجرد إشاعات أطلقت عليهم لا أساس لها من الصحة من أمثال ذلك "البشير بن حمودة اللزام"، المترشح لخطة مشيخة زاوية البنا القادرية، قبل ترشحه بالرفض من طرف المراقب المدني لبنزرت لأن ابن عم المترشح والمسمى "عبد الرحمن اللزام" له أميال تركية[2].

هذه الإجراءات مست حتى تنقلات المشايخ، فقد سنت فرنسا قوانين حددت بها الإجراءات الإدارية اللازمة فعلها واحترامها قبل التنقل الذي أصبح محتجزا بدون ترخيص سواء التنقل بين دوائر الإيالة أو التنقل خارج البلاد ومنذ ذلك المنشور عدد 3 المؤرخ في جانفي 1913 الذي تضمن الإجراءات القانونية التي يجب أن يقوموا بها المشايخ ونوابهم قبل التنقل من الدوائر التي يقيمون فيها. وكذلك منشور جانفي 1921 الذي أعطى المراقبين صلاحية إعطاء رخص التنقل لمشايخ الطرق داخل الإيالة، على أن يبقى تنقلهم بين تونس والجزائر تحت علم الحاكم العام للجزائر والمقيم العام بتونس وأخذ رأيهم لاتخاذ القرار اللازم. هذه الإجراءات فقد من خلالها مشايخ الطرق الصوفية حرية التنقل التلقائي وأصبحوا مقيدين قانونيا، بتقديم مطالب إلى السلطات التي يعودون إليها للنظر فيها قبل التنقل مع ما في ذلك من مماطلة وبيروقراطية. مما اضطر البعض إلى خرق هذه القوانين والتنقل قبل الحصول على ترخيص، ما كان رد فرنسا على ذلك إلا بمعاقبتهم، من أجل ردعهم وحملهم على احترام القوانين المفروضة [3].

(1) -التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص85.

(2) -التليلي العجيلي، المرجع نفسه، ص -ص 87-89.

(3)- التليلي العجيلي، نفسه، ص-ص90-92.

***منع الزيارات:**

تعتبر الزيارات من أهم مصادر الدخل بالنسبة للطرق الصوفية في تونس، فهي تمثل تبعية الفرد وولائه وانتمائه الروحي للطريقة كما أنها تساهم في جمع الأموال وبذلك زيادة مداخيل الزوايا، فإذا علمنا أن المحصول السنوي من الزيارات والأعطيات نقدا وعينا بلغ سنه 1925 حوالي 120,000 فرنك بالنسبة للطريقة القادرية، و24,000 فرنك بالنسبة إلى الطريقة التجانية و56,310 بالنسبة للطريقة العيساوية.

ونظرا لأهمية هذا المورد وكونه ركيزة أساسية تقوم عليه الطرق، عملت فرنسا على حرمانها منه، كانت البداية بتحجير تلك الزيارات في الأسواق بموجب الأمر العلي المؤرخ في 20 جوان 1911، ومعاقبة كل من خالفه [1]، وصلت أحيانا إلى مصادرة الأموال المجمعة مثل ما فعلوا مع شيخ الزاوية الرحمانية بالكاف حين صدروا له مبلغ 630 فرنك من الأموال التي جمعها من الزيارات، لتعلن بعد ذلك منع الزيارات كليا في سنة 1913 مما الحق ضررا بالمقومات الاقتصادية للطرق ومشايخها، سياسة تفقير الطرق خيار راهنت عليه السلطة الاستعمارية كثيرا، سعيا منها لوضع حد لقوه بعض الطرق المادية ووقاية منها لكي لا توظف تلك القوة لاحقا، كقوة تهدد كيانها الاستعمار [2].

***مصادرة أراضي الأحباس:**

–تكملة السياسة الاستعمارية التي تهدف إلى تفقير الطرق وضرب أهم مواردها، عملت فرنسا على الاستيلاء على الأحباس والأوقاف الإسلامية، التي تعد مظهر من مظاهر الحضارة الإسلامية، كما يجسد العمل الخيري والتضامن للمسلم مع أفراد مجتمعه[3].

كما أن التونسيين عملوا على المساهمة فيه وما يدل على ذلك كثرة الأحباس بنوعيها في تونس الأحباس العامة والخاصة.

أما بالنسبة للطرق يعتبر موردا هاما، حيث مكنت الأوقاف الطرق الصوفية من ملكيات عقارية شاسعة، قدرت قيمتها سنة 1925، بأكثر من 21،759،900 فرنك، منها 807.000، 12 فرنك قيمة ما تملكه له دخل سنوي قدر بأكثر من 368.466 فرنك 8.952.000 قيمة ما

(1) -فاطمة قارة، المرجع السابق ، ص53.

(2) -التليلي العجيلي، ا لمرجع السابق، ص101.

(3) -أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي(1500-1830)، ج1، المرجع السابق، ص277.

يملكه المشايخ هو دخل سنوية تقدر بأكثر من 282,060 فرنك، وبذلك يكون الدخل السنوي الإجمالي لزوايا الطرق في تونس من الملكيات العقارية أكثر من 650,526 فرنك، وهو ما يعادل أكثر من نصف دخلها السنوي للعام. لهذا عملت فرنسا على ضرب هذا المورد وإضعاف مداخيله وفي نفس الوقت توفير مساحات عقارية شاسعة من الأراضي للمعمرين الفرنسيين [1].

-لجأت فرنسا كالعادة إلى استعمال الحيلة والقانون، لسلب هذه الممتلكات، ومن ذلك إصدار قانون 18 أوت 1885، وقانون 21 جوان 1888، اللذان حورا الإجراءات المتعلقة بعملية الإنزال الذي يعتبر عملية كراء مؤبد للعقار ويصبح المكتري هو المالك الحقيقي، والمالك الأصلي يصبح مالك صوري فقط، وتتم هذه العملية في المزاد العالمي بعد إشهار خمسة أسابيع [2].

بعد صدور هذه القوانين سارع المعمرون إلى توظيف رؤوس أموالهم في شراء الإنزال للاستحواذ على أراضي الأحباس العامة والخاصة.

وتوضح الإحصاءات أن المعمرين الفرنسيين استفادوا من عمليات الإنزال بشكل كبير ففي مارس 1889 تفيد الأرقام أنه من جملة 6068 هكتار من أراضي الأحباس التي وضعت للمزاد العالمي وبقي منها سوى 3430 هكتار أي بنسبة 56% سيطر عليها الفرنسيون.

مكنت هذه السياسة السلطة الاستعمارية من انتزاع مساحات شاسعة على حساب الأحباس العامة والخاصة، وبالتالي تمكنت من إضعاف مشايخ الطرق ماديا وأدبيا مما أدى إلى تدهور ظروفهم الاجتماعية، واندثار البعض من الزوايا كزاوية سيدي الحاج التيجانية بتوزر، وزاوية الحاج العباسي الرحمانية في ماجر، كما أن البعض منهم لجأ إلى التدين من السلطة الاستعمارية وطلب الإعانة [3].

إضعاف الطرق وفقدانها لأهميتها المادية، كان بقصد تطويعها واحتوائها، فلجوء الشيوخ إلى فرنسا فرصة لكي توظفهم في تطبيق خططها الاستعمارية، باستغلال نفوذهم ومكانتهم الهامة في المجتمع، خصتهم بعدة امتيازات وحولتهم إلى موظفين تقع تزكيتهم من طرف الإدارة الاستعمارية، سميت بسياسة:

(1) -التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص -ص 101-102.
(2) -فاطمة قارة، المرجع السابق، ص55.
(3) -التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص -ص103-105.

***التدجين والتوظيف:**

أبرز مثال على استغلال السلطة الاستعمارية لمشايخ الطرق ما قام به محمد بلطيم بن إبراهيم شيخ الطريقة القادرية بورقلة، فيما يسمى بقضية المركيز ديموريس الذي خرج في مهمة استكشافية لمصلحة فرنسا وتم قتله من قبل الطوارق، لم تتمكن فرنسا من القبض على الفاعلين، فما كان من محمد بالطيب إلا أن توجه في أفريل 1898 نحو الجنوب بدعوة تفقد الزوايا القادرية، استطاع أن يفر بثلاثة من القتلى، مدعيا أنه سيحصل لهم على الأمان بفضل مكانته الدينية، ولما وصلوا إلى ذهبية سلمهم إلى الضابط الفرنسي بدوره أرسلهم إلى مدنين من بعدها أحيلوا إلى محكمة سوسة.

-وبالنسبة للطريقة التيجانية نجد المقدم سعد بن الحاج ناصر الذي كان له دور فعال أثناء الحوادث ما بين 1915 و1916، وحثه لأتباع التيجانية للوقوف إلى جانب الجيش الفرنسي[1].

إن لم تكن هذه العلاقات ظاهرة منتشرة بين جميع شيوخ الطرق إلا أن هناك مؤشرات تدل على الصداقة المتينة التي تجمع بعض شيوخ الطرق، كمنح فرنسا لهذه الطرق امتيازات وتسهيلات مثل ما فعل الوزير روا مع أحفاد سيدي قدور حين قام بإعفائهم من الخدمة الوطنية سنة 1909، وإعفاء الشيخ نفسه من الجباية على الحطب والتبن والعشب الموجه لزاويته بطلب منه سنة 1808، كما أنه تلقى الدعم المالي من السلطات الفرنسية كإعانات لزاويته قدرت ب 13,000 فرنك[2] ،وفي 20 جويلية 1896 صدر قانون يعفي شيوخ الطرق من الخدمة العسكرية، ومن المظاهر الأخرى الدالة على الصداقة التي تجمع الطرفين هو التكتم على مخالفات بعض المشايخ، وعدم فضح محكماتهم عدليا ومن ذلك تدخل السلطة الفرنسية لدى محكمة سوسة لإيقاف تتبع ابن عبد الحفيظ شيخ الرحمانية المتهم بقضية تهريب الأسلحة[3].

كل هذه التسهيلات والامتيازات التي كانت تمنح لشيوخ الطرق كان الهدف منها احتوائهم وإغرائهم لتدينهم وتحملهم على الوقوف إلى جانب السلطة الاستعمارية ومساعدتها في تنفيذ خطتها في تونس، فسلطة الاحتلال نفسها كانت مقتنعة بأن ذلك من شأنه أن يجعل من أولئك

(1) -التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص -ص96-98.

(2) -فاطمة قارة، المرجع السابق، ص49.

(3) -التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص94.

المشايخ أعوانا أوفياء للاستعمار، واستعمالهم في إخماد ثورات القبائل وإعادة الأمن والاستقرار.[1]

المبحث الثالث: أثر السياسة الاستعمارية على الطرق الصوفية

-إن السياسة الاستعمارية اتجاه الطرق الصوفية مرت بمرحلتين الأولى هدفها اكتساب صداقة مؤسسات الطرق الصوفية، أما الثانية فكانت ترمي إلى توظيف هذه المؤسسات بهدف مقاومة الوعي الوطني الذي يهدد الكيان الاستعماري، فمختلف السياسات التي مارستها ضد الطرق الصوفية كالتدجين والتوظيف ومنع الزيارات ومصادرة الأراضي الأوقاف وغيرها كان الهدف من ورائها القضاء على مكانتها الاجتماعية والاقتصادية من جهة وتوظيفها لخدمة مصالحها من جهة أخرى.[2]

فالسياسة الفرنسية على الطرق الصوفية سياسة مستمدة من التجربة الجزائرية، فالصوفية في الجزائر كانت رافضة للاستعمار حيث قامت بالعديد من الثورات، هذا ما جعل فرنسا تمارس سياستها على تونس بطريقة جد مدروسة خوفا منها أن تلقى موقف مثل ما لقيته ووجدته في الجزائر.[3]

عملت السياسة الفرنسية على ترك أثر لدى الطرق الصوفية التونسية في الجانب الاجتماعي، حيث حولت شيوخ الزوايا إلى هيئة موظفين تقع تركيبتهم من الطرق الإدارة الفرنسية، هذا ما أثر في نفوذها ومكانتها الاجتماعية بين أتباعها.

-كان يتبين للجميع أن الاستعمار طور وساعد وشجع الطرق الدينية في سيطرتها وبسط نفوذها على المجتمع في حين أن الواقع ينكر ذلك فالمحتل يشجعها فقط في حدود مصالحه ويعمل بخطة سريعة على سحب البساط من تحتها، وذلك من خلال إلغاء الزيارات وبذلك فقدت سلطتها المعنوية التي كانت تميزها داخل المجتمع والقائمة بين الأتباع والزوايا فالزيارة هي

(1) -التليلي العجيلي، السلطة الاستعمارية والنخبة الدينية للبلاد التونسية 1881-1918م، حوليات الجامعة التونسية، جامعة منوبة، تونس، 1995م، ص 342.

(2) -فاطمة قارة، المرجع السابق،ص48.

(3) -أحمد دركوش، المرجع السابق، ص67.

ولاء روحي بالنسبة للأتباع خاصة تلك التي يتم فيها جمع الأموال، فهدف السلطة الاستعمارية هو تراجع مكانة الطرق الصوفية[1].

-استطاعت السلطة الاستعمارية بفضل قيامها بسياسة توظيف مشايخ الطرق الصوفية من تسهيل وتحقيق أهداف بأقل تكاليف وفي مدة وجيزة، وبسط نفوذها وسيطرتها على بعض الأماكن التي كان من الصعب تحقيق ذلك فيها، فبالتالي أصبحت مشايخ الطرق الصوفية مطيعة تنقاد لأوامر فرنسا بواسطة امتيازات ومكافآت، حيث استغلت فرنسا الوضع القائم على التنافس بين الطرق الصوفية وإظهار الولاء لكل طريقة من اجل إضعافها والسيطرة عليها.

-لقد أثرت السياسة الاستعمارية اقتصاديا على الطرق الصوفية من خلال وضع سياسة مصادرة أراضي الأحباس والأوقاف الإسلامية وفرض مجموعة من القوانين وإجراءات تناولناها سابقا، بهدف زعزعة نفوذها المادي وإضعافها تدريجيا، فالسند المالي أحد الركائز الأساسية التي يتوقف عليها وجودها واستقرارها، عملت فرنسا على تفقير هذه الطرق من أجل إضعافها وبالتالي وقوفها مع مصالح فرنسا [2]،فمثلا سياسة مصادرة أراضي الأحباس ساهمت في إضعاف مداخيل الطرق وشيوخها وفي نفس الوقت مكن المعمرين الفرنسيين الاستفادة من مساحات عقارية شاسعة من الأراضي الحضنة، هذا ما أدى إلى إضعاف معظم الطرق ماديا وسهل السيطرة والتحكم في الطرق الصوفية فمع مرور الوقت تدهورت الحالة الاقتصادية للطرق وأصبحوا عاجزين عن توفير حاجياتهم اليومية هذا ما جعلهم يلجئون إلى الديون التي زادت في خنقهم أكثر من طرف فرنسا [3].

إن السلطات الاستعمارية نجحت في السيطرة على الطرق الصوفية ومشايخها بشكل كبير، فالتجربة الجزائرية أكسبتها معرفة سابقة لطريقة التعامل مع البلاد التونسية حيث جعلت من شيوخ القبائل أعوانا أقوياء في إخماد ثورات القبائل وإعادة الأمن والاستقرار[4]، يمكننا الاستدلال بالدور الذي لعبه سيدي قدور شيخ زاوية القادرية بالكاف في تسهيل عملية الاستيلاء الفرنسي على تونس قبل إمضاء معاهدة باردو، وكذلك الشيخ زاوية التيجانية الذي استقبل الجيش الفرنسي وكان دليله في المنطقة وأوصى القبائل بملازمة الهدوء والامتثال للنفوذ

(1) -فاطمة قارة، المرجع السابق، ص53.

(2) -التليلي العجيلي، الطرق الصوفية...، المرجع السابق، ص98-99.

(3) -التليلي العجيلي، الطرق الصوفية...، المرجع نفسه، ص ص104-105.

(4) -التليلي العجيلي، السلطة الاستعمارية والنخبة الدينية بالبلاد التونسية 1881 -1918م، المرجع السابق، ص 347.

الفرنسي، كل هذا يدل على مدى استفادة الاستعمار الفرنسي من نفوذ العديد من مشايخ الطرق في بسط السيطرة والحد من أهمية المقاومة الشعبية[1].

(1) -التليلي العجيلي، السلطة الاستعمارية والنخبة ...،المرجع السابق، ص348.

خلاصـة

كانت فرنسا قبيل انتصاب حمايتها على تونس تحت تأثير هزيمة 1870م، عاجزة عن استرجاع مقاطعتي الألزاس واللورين من ألمانيا تحتم عليها إتباع نوع من سياسة من العزلة والانزواء على نفسها، وفي نفس الوقت كانت تتخبط في أزمة اقتصادية تتمثل في تراكم البضائع المصنعة ورؤوس الأموال الناجمة عن ضيق السوق الداخلية وغلق الأسواق الأوروبية بسبب الحواجز الجمركية.

بحكم هذه الظروف عقدت فرنسا العزم سنة 1881 بعد فترة من التردد على الخروج من انكماشها للدخول في سياسة توسعية استعمارية تمكنها من الحصول على أسواق جديدة لبضائعها ورؤوس أموالها المتراكمة، وكذلك لاسترجاع مكانتها بأوروبا التي فقدتها منذ هزيمتها على يد ألمانيا ذلك ما تحقق بإعلانها فرض الحماية على تونس في 12 ماي 1881، الشيء الذي سبق قيام فرنسا بهذه الخطوة هو إجراؤها عدة أبحاث ودراسات علميه عن الإيالة التونسية، شملت جميع المجالات وذلك من أجل رسم سياسة استعمارية تتلاءم وتتماشى مع مقومات وخصائص الشعب التونسي، وفي تلك الفترة كانت الطرق الصوفية تمثل أهم تنظيم في البلاد يتمتع بنفوذ مادي وأدبي هامين و قاعدة شعبية عريضة فهي بذلك يمكن أن تشكل خطرا على مصالح فرنسا الاستعمارية وفي نفس الوقت إذا أحسنت فرنسا معاملتها وكسبها ستكون أداة ناجحة في يدها لاستغلالها في تطبيق مخططاتها التوسعية.

الفصل الرابع:

موقف الطرق الصوفية من نظام الحماية الفرنسية

الفصل الرابع: موقف الطرق الصوفية من نظام الحماية الفرنسية.

المبحث الأول: موقف الطريقة القادرية والتيجانية.

المبحث الثاني: موقف الطريقة الرحمانية.

المبحث الثالث: مصير الطرق الصوفية.

تمـهيد:

إن التجربة الجزائرية، ساعدت فرنسا في تحديد ملامح سياستها تجاه الطرق الصوفية في تونس، فالطرق الصوفية تمثل قاعدة شعبية كبيرة تستطيع قيادة الجهاد ضد فرنسا، هذا ما جعل هذه الأخيرة تقوم بوضع أساليب تسعى من خلالها القضاء على الطرق الصوفية ومكانتها بين اتباعها دون الدخول في دوامة الصراعات معها، فمارست سياسة مدروسة لضرب الطرق الصوفية ونفوذها اجتماعيا واقتصاديا وإفراغها من محتواها الروحي والقيام بتوظيفها لخدمة مصالحها وتهميشها وهذا ما استطاعت تحقيقه الى حد كبير، فبعد فرض الحماية على تونس تباينت ردود ومواقف الطرق الصوفية بين طرق اختارت الممارنة والمصادقة مع فرنسا وطرق عملت على مقاومة المحتل عن طريق المقاومات والانتفاضات. وفي هذا الفصل سنحاول معرفة موقف كل من الطريقة القادرية والتيجانية والرحمانية من نظام الحماية الفرنسية، وكيف كان مصير هذه الطرق.

المبحث الأول: موقف الطريقة القادرية والتيجانية.

-اعتمدت السياسة الفرنسية على الطرق الصوفية التونسية أسس مستمدة من التجربة الجزائرية فالطرق الصوفية في الجزائر كانت رافضة للاستعمار وقادت العديد من الثورات هذا ما جعل فرنسا تتوجس خفية من أن تلقى من الطرق التونسية موقف مثل ما لقيته في الجزائر [1].

-يوجد ترابط بين زوايا الطريقة القادرية في الجزائر وتونس خاصة في الحدود فمعظم زعماء الطرق لجأوا إلى تونس وأسسوا زوايا مثل زاوية نفطة، فهذه الزاوية غالبا ما تتحول الى وكر للثورة ضد الأجنبي وضد العدو المدنس رض السلام، حيث أدرك الاستعمار خطورة هذه الطرق بناء على التجربة الجزائرية.

-إن موقف الطريقة القادرية في تونس كان يختلف عن الطريقة القادرية في الجزائر حيث لعبت القادرية التونسية دورا هاما في تسهيل استيلاء الغزاة الفرنسية على البلاد التونسية، بالرغم أن الاستعداد للجهاد كان موجودا لدى العامة [2].

-سبب ذلك هو سيدي قدور الشيخ زاوية الكاف، حيث كانت له علاقة مع الجاسوس الفرنسي "روا"*، وصل به الأمر لإعطاء الأوامر للذين جاءوا إلى زاويته بالعودة من حيث أتوا، مما جعل "روا" يستحسن ذلك ويقول تحرك أصدقائنا، وهذا دليل كافي على أن شيخ زاوية الكاف التي تعتبر أكبر زاوية وزاوية الأم قدساهم بشكل كبير في مساندة الاحتلال الفرنسي والتخلي عن فكرة الجهاد[3].

(1)-التليلي العجيلي،المرجع السابق،ص76.

(2)-أحمد دركوش، المرجع السابق، ص68.

*روا: عسكري فرنسي وجاسوس من قبل الحماية، كان كاتب عام بالحكومة التونسية المحمية وكان في اتصال مع القبائل زاوية الكاف القادرية، أنظر الى: سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج04، المرجع السابق، ص56.

(3)- التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص117.

-إن زاوية الكاف التابعة للطريق القادرية أهمية جد كبيرة روحية على الجميع الطرق الصوفية، فمواقفها تعبر عن مواقف مشايخها أكثر ممن تعبر عن وجهة نظرا أتباعهم الذين غالبا ما كانوا مستعدين للجهاد، ومناهضين لمواقف عديدة. (1)

-لقد كانت الطريقة القادرية بموقفها الرسمي على علاقة وطيدة بالاستعمار بداية من زاوية نفطة في عهد محمد بن إبراهيم، عكس الطريقة التيجانية التي كانت مواقفها تختلف كثيرا عن مواقفها في الجزائر خاصة مع تباين مواقف زعمائها مواقف زعمائها في الجزائر وفي الزوايا الفرعية في تونس، وكذلك الشيخ محمد بن شعبان شيخ مشايخ القادرية وامام جامع باردو أنذاك ساهم في مساندة الاستعمار ورحب به عند دخوله الى تونس (2).

-يمكن استخلاص موقف الطريقة التيجانية من فرض الحماية على تونس، من خلال مواقف شيوخها والزوايا التيجانية التي لعبت في معظمها دورا مساندا إبان فرض الحماية على تونس سنة1881. هذا التوجه عبر عنه شيخ الزاوية التيجانية ببو عرادة* "المنوبي العمراني"** في رسالة وجهها الى وزير الخارجية الفرنسية بباريس ذكر له فيها أنه استقل الجيش الفرنسي ودليله في المنطقة موصيا إياه بالقبائل خيرا، كما أوصى القبائل بملازمة الهدوء والامتثال للنفوذ الفرنسي وبذلك عرف كيف يتجنب إراقة الدماء ويسهل مهمة السلطة الفرنسية على حد قوله (3).

اشتهر المنوبي شيخ زاوية بوعرادة بتمجيده وتفانيه وتبعيته للسلطة الاستعمارية، ملتزما بسياستها والانحياز إليها بصفة مطلقة، كذلك مقابل تسهيلات فرنسا للطريقة التيجانية التي ساعدتهم بدورها في التضخم وانضم إليها آلاف من المريدين كان أغلبهم لصوص وأصحاب سير

(1)- أحمد دركوش، المرجع السابق، ص69.

(2)- التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص118-119.

*زاوية بوعرادة: تقع زاوية بوعرادة في مدينة بوعرادة التابعة لولاية سليانة، تم تأسيسها مابين1856-1864. للمزيد أنظر: لطيف الزرقي، المرجع السابق، ص101.

**المنوبي العمراني: المنوبي بن الشيخ سيد صالح العمراني التيجاني الشريف، كان مقدما للطريقة التيجانية بزاويتها في هشير بوفطيس بجهة بوعرادة المعروفة بزاوية سيدي صالح التيجاني توفي يوم 1930/08/19.للمزيد أنظر الى: التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص119.

(3)- بن يوسف التلمساني، المرجع السابق، ص241.

مشبوهة، كما أن مشاركة "سيون" القائد العسكري ومساعد الملحق العسكري بول كامبون في المائدة التي كانت تنصب في زاوية باب المنارة كل جمعة، دليل واضح على علاقة الطريقة التيجانية بفرنسا [1].

رغم الترحيب والولاء الذي أظهرته الطريقة القادرية والتيجانية للسلطة الفرنسية، عند فرض الحماية على تونس، إلا أن هناك تباين حول مواقف الزوايا الثانوية في الطريقة الواحدة ، من دخول الاستعمار والمقاومة الشعبية، فمثلا الزوايا القادرية كانت طرفا رئيسيا في عدة مقاومات، ودليل ذلك ما قام به الحاج صالح مقدم زاوية القادرية بالفراشيش والذي يعتبر صاحب شرارة اندلاع معركة 25أتوبر 1881، وكذلك الباشى علي الذي كان سببا وراء تنظيم المقاومة في الجنوب، إلا أن كبار شيوخ الطريقة القادرية، كان موقفهم سلبيا مثل ما كان يفعله، الشيخ قدور الميزوني بالكاف الذي كان يحث السكان على الخضوع لجيش الاحتلال، كذلك الأمر بالنسبة للشيخ محمد بن إبراهيم الكبير شيخ زاوية القادرية بنفطة والذي كانت تجمعه علاقات وطيدة بفرنسا[2].

حتى الطريقة التيجانية كان رأي بعض زوايا ثانوية تابعة لها، عكس موقف الزوايا الكبرى، ففي سنة 1896، أشار المراقب المدني بالكاف الى أن الطريقة التيجانية في تلك الجهة قاومت دخول الاستعمار بإثرتها لقبائل ورتان والخمامسة ضد المستعمر، فما كان من العقيد "دولاروك"* إلا أن زحف عليها وأخضعها كما حملها على دفع غرامة حربية.

إن هذا الموقف المناهض للاستعمار من زوايا ثانوية وان كان لا يتوافق مع الخط العام الذي سارت عليه الطريقة التيجانية سواء في الجزائر وتونس، لم يكن له تأثير على موقف المساندة والولاء لفرنسا الصادر عن أهم الزوايا التي تمثل الطريقة التيجانية، ففي أوت من عام 1882، كان أحمد مقدمي الطريقة التيجانية في الجنوب التونسي، يدعى الحاج أحمد، يعد العدة للعدوان على فرنسا، لكن وصل خبره إلى شيخ المشايخ بالجزائر، هذا الأخير قام بإقالته في مارس 1883، عن طريق مبعوث خاص إلى تونس، وذلك ما أكده زيارة الشيخ سيدي محمد الصغير

(1) - أحمد دركوش، المرجع السابق، ص65.
(2) - فاطمة قارة، المرجع السابق، ص94.

*دولاروك: ولدسنة1835، دعي سنة1881م الى تونس لقيادة قضية الكاف كما تولى عدة مناصب عسكرية كبرى كقيادة هيئة الأركان العامة، للمزيد أنظر الى :التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص120.

إلى تماسين قصد اطمئنان المقيم العام بتونس بولاء انتماء الطريقة التيجانية بتونس لزاوية تماسين[1].

كما أن الاستعمار استفاد كثيرا من الدور الذي لعبته الطرق سواء القادرية أو التيجانية فغياب ردود الفعل سهل توغل القوات الفرنسية واستيلائها على البلاد التونسية [2].

ولاء الطريقين القادرية والتيجانية استمر حتى بعد استقرار نظام الحماية وعبر عنه مشايخ الطريقتين في العديد من المناسبات و تعاملهم إيجابيا مع فرنسا في العديد من القضايا كما عبروا عن رضاهم بالسياسة الفرنسية التي تطبقها في البلاد سواء على الجانب السياسي والاجتماعي والاقتصادي، ومباركة كل خطوة تقوم بها فرنسا مهما كانت انعكاساتها على الايالة، حتى وان لم تلبي المطالب الوطنية[3]، فمثلا في الميدان الفلاحي كان شريك أحمد قدور شيخ الزاوية القادرية للفلاحة المحافظ الحكومي للكاف "روقار"، وهي نفس الممارسات التي قام بها المنوبي شيخ زاوية بوعرادة التيجانية الذي ساعد المعمرين بجهة باجة وبوعرادة، في استثمار ضيعاتهم وحمايتها عن طريق زاويته[4].

ونجد هذا الولاء والدعم لفرنسا حتى في الحرب العالمية الأولى، فعند اندلاع الحرب في28 جويلية1914، وبعد دخول الدولة العثمانية الحرب أعلن الباب العالي للجهاد، وأطلقت السلطة العثمانية فتوى شيخ الإسلام وأتبعها بيان وقع عليه شيخ الإسلام وثمانية وعشرون عالما، وأتبع البيات دعوات عن طريق النشرات والكتب واشترك في نشرها الألمان والعثمانيون، أجمعت كلها على أن الإسلام في خطر وأنه يجب على كل مسلم الدفاع عنه وأن يدافع عن السلطان والخلافة.

(1) - أحمد دركوش، المرجع السابق، ص66.

(2) - التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص120.

(3)- التليلي العجيلي، المرجع نفسه،ص154.

(4) - التليلي العجيلي، نفسه، ص200.

أحست فرنسا بخطر هذه الدعاية وخشيت من احتمال قيام ثورة عامة منها الدعم في شمال افريقيا ضدها،[1] لذلك لجأت إلى الطرق الصوفية تطلب منها الدعم المعنوي لمناداة أتباعها بموالات فرنسا وعدم الاستماع إلى الدعاية العثمانية[2].

قابلت الطريقتين التيجانية والقادرية هذا الطلب، بإصدار مواقف التأييد لفرنسا في حربها، حيث كتب محمد الشريف شيخ القادرية بقفصة رسالة باللغتين العربية والفرنسية وجهها لكل من المقيم العام والمراقب المدني، بتاريخ 12نوفمبر1914م، داعيا فيها لفرنسا وحلفائها بالنصر المبين مبرزا ولائه وتأييده هو والطريقة القادرية لفرنسا، كما حمل الدولة العثمانية المسؤولية، وأبرز ما جاء في هذه الرسالة[3] " أيها الجناب لقد تفجعنا وتوجعنا للغاية بما بلغنا من مديري...كذا حتى الدولة العثمانية قد انحازوا الى ألمانيا الوحشية في الحاضرة، فوجب علينا أن نجدد لكم التصريح لولائنا التام لأميرنا المحبوب ولحمايتنا لدولة فرنسا، فالمطلوب من الجانب أن يبلغ عواطفنا للدولة الجمهورية ويخبرها عنا بأننا ندعوا الله تعالى أن يزيدها قوة على قوة وشرفا على شرف وأن ينصرها على عدوها الهالك"[4].

أما موقف الطريقة التيجانية بدا جليا في رسالة المنوبي التي ميزها الدعاء والتوسل بنصرة فرنسا وأبر ما جاء فيها قوله "نسأل الله العزيز الديان الحفظ والأمان لعساكرنا في كل مكان... وللدولة الألمانية يعيقهم الزمان في العساكر والحال والأبدان والذل في كل مكان...كما نهنئ جنابكم بحلول هذا العام المبارك الجديد إن شاء الله يعود على دولتنا السعيدة بالنصر المبين..."، كما أنه دفع بابنه الوحيد صاحب 22سنة الشريف محمد التيجاني للتطوع في صفوف الجيش الفرنسي، رغم أنه معفى من الخدمة العسكرية، دخل الجيش متطوعا في الجبهة الشمالية، لكن حال المرض بينه وبين إتمام مهنته ليتم تسريحه.

رغم ذلك كان يذهب إلى دور النقاهة والمستشفيات التي كان يوجد بها المسلمون يرفع من معنوياتهم و يحثهم على العودة للقتال إلى جانب فرنسا، معتمدا على أسباب دينية بقول أن

(1) -أحمد دركوش، المرجع السابق، ص89.

(2) - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص242.

(3) -أحمد دركوش، المرجع السابق، ص91.

(4) -التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص177-178.

القرآن يحث المسلمين بأن يحمو حاصيتهم، والذين يقتلون في الحرب سينالون الشهادة والجنة معتبرا الفرنسيين إخوانهم ولا يجب أن يدعوهم وحدهم [1].

طبيعة علاقة الطريقتين القادرية والتيجانية بفرنسا، تفسر وتؤكد العداء والنفور الذي كان يميز علاقة الطرق الصوفية بالحركة الوطنية. فالدور الذي لعبته الحركة الوطنية منذ ظهورها في توعية الشعب وإصلاحه، خاصة مع الثعالبي الذي كان يدعوا الى الإصلاح الديني والاجتماعي في جلساته، مع نخبة شباب الزيتونة وشباب المدارس العصرية، والحديث في عدة مواضيع كخلاف الصحابة ومسائل الأولياء والكرمات، هذا الأمر أغضب علماء الزيتونة وأصحاب الصوفية، فما تطرق إليه الثعالبي بالنقد والتحامل يؤكد على أن وعيا جديدا يشق طريقه داخل المجتمع ويتطور مع جريدة الليبرالي الناطقة باللغة الفرنسية والتي اعتبرت المؤسسات الدينية(الطرق الصوفية) مؤسسات تعرقل الوعي الوطني، هذه الجريدة مخصصة للتهجم على الطرق، تحدثت عن الدور السياسي وسلطت الضوء على السياسة الإيجابية التي كانت تجمعها بالمستعمر سواء في تونس أو في الجزائر، كما قامت بذكر مهازل الطرق الصوفية، منها حادثة التسلل الفرنسيين للإيطاليين وانضمامهم للطرق بهدف تسهيل عملية الاستعمار في تونس[2].

–وكذا دور سيدي قدور الذي ذهب الى ملاقاة القائد العسكري "لوجيرو" عند دخوله الى الكاف، وتظاهره بأنه رأى شيخهم سيدي عبد القادر يمسك بمقود حصان الجنرال الفرنسي، ويأمرهم بالرجوع دون مقاومة فضح مهازل الطرق من طرف الحركة الوطنية، وكشفها للعلن معناها ضرب مصالح الشيوخ خاصة المتواطئين الذين كانت تخصص لهم امتيازات من طرف فرنسا، سبب كافي لتبرير عداوة الطرق للحركة الوطنية وذلك ما عبرت عنها الطريقة القادرية والتيجانية في عدة أحداث وطنية بينت فيها هذه الطرق وقوفها مع فرنسا على حساب الحركة الوطنية والحزب الدستوري.

(1) -التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص185.

(2) -فاطمة قارة، المرجع السابق، ص96-97.

المبحث الثـاني: موقف الطريقة الرحمانية.

–تعتبر الطريقة الرحمانية من أهم الطرق التي انتشرت في تونس، حيث رفضت الاستعمار الفرنسي وكانت مناهضة له ولم تتواطئ معه وحافظت على شيء من الاستقلالية تجاهه، فزوايا الرحمانية لعبت دورا كبيرا في التصدي للاستعمار، حيث عمل الشيخ حسونة بن أحمد عبد الملك شيخ الرحمانية بأولاد عون حسب ما أورده المراقب المدني أنه قام بعرقلة المشاورات المتعلقة بمشروع سدوادي بوزافة لري سهل سليانة، فموقفه هذا كان مناهض وعكس ماورد عن الطرق الأخرى كشيخ القادرية أحمد قدور والمنوبي التيجاني[1].

–كذلك علي بن عسى شيخ الطريقة الرحمانية بمدينة الكاف كان معارضا للحماية، حاول قتل روي جان بريار * عند مجيئه لمدينة الكاف وقد شجع الأهالي على مواجهة القوات

الاستعمارية وهذا دليل ودعوة لمقاومة المحتل.

–كما أن محمد بن إبراهيم بن عبد الملك أحد رجال زاوية سيدي عبد الملك التابعة للطريقة الرحمانية قد قاوم الحماية الفرنسية وواجه قواتها حيث انهزم وهرب الى جبل سرج قرب الوسلاتية من ولاية القيروان الى طرابلس، هذا كله دليل يظهر أن بعض الزوايا الرحمانية وقفت في وجه العدو الفرنسي ورفضت وجوده ودعت للمقاومة وحرصت وشجعت بعض المناطق في تونس للصمود ضد المستعمر مثل صفاقس وقابس وأقصى الجنوب التونسي[2].

–قامت الزوايا الرحمانية بردود فعل كان أغلبها يدل على رفضها للاستعمار ومن بين هذه المواقف قيامها بمجموعة من التحركات والمقاومات مثل المقاومة في الشمال الفراشيش بمراقبة التالة الوسط الغربي.

–ثورة الفراشيش بمراقبة التالة:

(1) -التليلي العجيلي، الطرق الصوفية....، المرجع السابق، ص155.

*روي جان برنار: ولد يوم 1845/05/28، اشتغل عون بإدارة البريد والبرق والهاتف وكذلك القنصلية الفرنسية بالكاف 1871م، ثم مراقب مدني مكلف بمهمة نائب بالقنصلية المذكورة1889 ويعرف تقاليد وعادات البلاد التونسية، أنظر الى: التليلي العجيلي، المرجع نفسه، ص118.

(2) -التليلي العجيلي، نفسه، ص121-122.

–لقد هزت وسط غرب الإيالة في آخر فترة المقيم العام بيشون*، كان وراء هذه الانتفاضة شخصية مهمة من رواد الطريقة الرحمانية المسمى عمر بن عثمان**، اندلعت أحداثها يوم الجمعة 26أفريل 1906م بهجوم جمع من الفراشيش على المزرعة المعروفة ببرج الشعنابي التي توجد على بعد حوالي 10كلم من القصرين على الطرق الرابطة بين القصرين والتالة[1]، هذه المزرعة تابعة لأحد المعمرين الذي يدعى "سال"، يسكن فيها مع عائلته المكونة من أمه وأخوه وخادمها، حيث كانت نتيجة الهجوم قتل أمه وأخاه وجرح خادمها، أما "سال" نجى من الموت بسبب غيابه من المنطقة.

–لم يكتفى عمر بن عثمان بل واصل سيرته الى ضيعة معمر فرنسي يدعى "باتران" فقتل خادمه ونجى هو وأخته وثلاثة فرنسيين من الموت[2].

–أما في المرحلة الثانية اتجه المهاجمين الذي كان عددهم يتراوح ما بين خمسة وعشرين وثلاثين شخص حسب ما جاء في ملف القضية الى منجم عين حمودة الذي يعمل به عمال فرنسيين حيث أرغم رئيسهم بالنطق بالشهادتين، قرر المهاجمين مهاجمة تالة في اليوم الموالي 27 أفريل 1906م وعلى رأسهم عمر بن عثمان قاصدين مركز المراقبة المدنية، ونتج عن ذلك مقتل اثنا عشرة شخص وجرحى وهرب البقية ولكن الجيش الفرنسي طاردهم واستطاعت السلطة الفرنسية بعد أيام أن تقدم تسعة وخمسين منهم، ووجهت لهم مختلف التهم كالقتل، ومسك السلاح والعنف، ومثلوا أمام المحكمة الجنائية يوم22 نوفمبر 1906، ثم عقبت القضية من طرف النيابة العامة الى دائرة الاتهامات في الجزائر وصدرت ضدهم

*بيشون ستيفان :ولد سنة 1857م، كان قنصلا عام 1884م ثم وزير مفوض من سان دومينيق والبرازيل ثم بكين 1897م بعدها أصبح مقيما عاما على تونس في 19-03-1901م.أنظر الى :التليلي العجيلي ،المرجع السابق،ص155.

**عمر بن عثمان: ولد سنة1881م بضواحي ولاية قالمة الجزائر، حافظ للقرآن ساج في الأرض حين وصوله للقصرين أين اعتقده أهلها وأضفو عليه صفات الولاية والصلاح، توفي بالسجن اثر أحداث الفراشيش. أنظر الى: التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص156.

(1)-التليلي العجيلي، المرجع نفسه، ص156.

(2) -محمد المرزوقي، دماء على حدود ثورة 1915م، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ص19-20.

أحكام مختلفة، منها الإعدام والأشغال الشاقة المؤبدة وأحكام بالسجن تتراوح ما بين عامين الى 5 أعوام حيث حكم على عدة متهمين من بينهم علي بن محمد بن صالح وفرحات بن محمد بن أحمد وعمر بن عثمان الذي توفي في السجن قبل تنفيذ حكم الإعدام له[1].

-وإذا لاحظنا وتمعنا في دور الطرق الصوفية في هذه الأحداث فإننا نجد تلك الأحداث مبرراتها، وذلك راجع للعوامل الظرفية طبيعية واقتصادية لتلك المنطقة سنة 1906م حيث عمل بن عثمان على توسيع وتوتير الأوضاع لتسهيل انفجارها في وقت لاحق، فهو كان معبر في تصرفاته عن همم سكان فوسانة شديد الوعي بمشاكلهم، وكان يشجع المناهضين ومروجا بين السكان القول بأن الفرنسيين سيغادرون ويؤكد أنه سوف يتخلص منهم في الوقت القريب[2].

-كان لعمر بن عثمان دور كبير في تشجيع السكان على مقاومة المحتل خاصة بعد الظروف التي عاشها سكان المنطقة، ففي أفريل 1906 م عاشوا جوا حقيقيا من الجهاد المقدس ضد المحتل هذا ما جعل السلطة الاستعمارية تعمل على اخضاع الأولياء الصالحين لمراقبة شديدة، وطالبت بصدها بكل المعلومات المتوفرة عنهم وعن تحركاتهم[3].

-المقاومة في الشمال :

-قبائل خمير التي تنتمي الى الطريقة الرحمانية كانت وراء المقاومات التي حدثت في الشمال، خاصة وأن علي بن عيسى وأحمد بن عبد الملك هم صاحبي النفوذ في تلك المنطقة والمناهضين ضد الوجود الفرنسي، بالإضافة الى قبائل العمدون التي تنتمي الى الطريقة الرحمانية[4].

-كانت قبائل خمير وسكان الجبال في طليعة حركة المقاومة في شمال البلاد التونسية، فما ان سمع بنبأ وصول السفن البحرية الى ميناء طرفة حتى هب متطوعون من أولاد سعيد والحوامدة وأولاد عمر بقيادة شيوخهم الى المقاومة من أجل مواجهة الأعداء، لم تستطع قوات

(1) - محمد المرزوقي، المرجع السابق، ص22-23.

(2) - فاطمة قارة، المرجع السابق، ص71.

(3) - التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص162.

(4) - فاطمة قارة، المرجع السابق، ص81.

الاحتلال الاستيلاء على المدينة في 26 أفريل 1881م، وبقيت جهات أخرى من خمير لقطع الطريق على قوات المحتل القادمة من الجزائر [1].

-هذا ما صرحت به قوات الاحتلال، حيث واصل سكان المنطقة القتال لساعات عديدة، بالإضافة الى مقاومة جندوبة بمشاركة قبائل أولاد بوسالم وعمدون، ولم تتمكن السلطات الاستعمارية من القضاء على مقاومة القبائل إلا في بداية شهر جوان حيث أجبر سكان المنطقة على نزع السلاح وتعرضوا للسجن ودفع غرائم مالية حربية قدرها 12000فرنك[2].

-تعتبر الطريقة الرحمانية من الطرق التي رفضت الاستعمار ودعت للجهاد بالبلاد التونسية، والواقع أن موقف الطرق الدينية من الاستعمار الفرنسي لم يكن موحد فهو مختلف من طريقة الى أخرى، وحتى الطريقة نفسها اختلفت مواقفها من الحضور الفرنسي مثلا القادرية لها زوايا

مؤيدة للوجود الفرنسي وهناك زوايا شاركت في الجهاد للتخلص من الاستعمار مثل قبائل أولاد بوسالم المنتمين الى الطريقة القادرية، وكذلك تختلف المواقف حسب البلد والفترة التاريخية، وأبسط مثال أن الطريقة القادرية كانت رافضة للاستعمار في الجزائر وقامت بثورات ودعمت الأمير عبد القادر سنة1830م، هي بحد ذاتها وقفت بعد نصف قرن خاصة زاوية الكاف الى جانب الاحتلال الفرنسي لتونس س1881م[3].

-المقاومة في الوسط الغربي:

-قامت هذه المنطقة بوضع خطة محكمة وموحدة ضد القوات الفرنسية، حيث انعقد اجتماع بين 15 الى 20 جوان 1881م بجامع القيروان ضم ممثلي عدة قبائل من ضمنها قبائل الوسط.

-لعبت الطريقة الرحمانية دور جد مهم في المقاومة والتخلص من الكيان المستعمر فنفوذرحمانية الجريد كان يصل الى ماجر حيث زاوية سيدي محمد بن عمار التي تأسست

(1) - التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص125.

(2) - فاطمة قارة، المرجع السابق، ص79.

(3) -عمايرية حفناوي، المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي، الطريقة المدنية الأصول والطقوس والدلالات الاجتماعية، تن:الهادي التيمومي، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 1999م ،ص588.

بجبل سمامة سنة 1856سمامة سنة 1856م وزاوية سيدي عمر السحاتي بسبيبة، وزاوية سيدي أحمد الزاير بكدية الحلفاء التي تأسست سنة 1847م، أما في الفراشيش فتوجد زوايا ابن عزوز في كلمن القصرين والتالة، أما القادرية فقد كان لها ثلاثة زوايا في ماجر وأربعة في الفراشيش، فكان معظم قبائل الوسط والوسط الغربي من الزاوية الرحمانية والقادرية[1].

-في 19أوت 1881م انعقد اجتماع يخص المشايخ وقياد وأعيان قبائل ماجر والفراشيش وهمامة وأولاد عيار وجلاص من أجل القيام بالمقاومة حيث نتج عن هذا الاجتماع معارك مثل معركة حيدرة التي شارك فيها الفراشيش والزغالمة وماجر قد واجهوا قوات المحتل وبقيت المعركة للمساء في 17 أكتوبر 1881، نتج عنها عشرات القتلى

-وكذلك المعركة الروحية التي وقعت في 23 أكتوبر 1881م، والتي شارك فيها أولاد ممنة بقيادة فرحات بن علي بن السيد وأولاد عيار والقوايد وونيفة وكذلك الفراشيش وجلاص وورتان والهمامة والزغالمة التي نتج عنها عدد كبير من الجرحى وخمسة وعشرون قتيل، بالإضافة الى معركة كدية الحلفاء وهي آخر معركة في 25 أكتوبر 1881 والتي نتج عنها مئة وخمسين قتيلا[2].

-من الصعب تحديد موقف الطريقة لأن زوايا الطرق لقيت تباين واختلاف في مواقفها ففي الوسط الغربي شارك معظم القبائل التابعة للطريقة الرحمانية والطريقة القادرية، فمثلا الطريقة الرحمانية لم يشارك شيخ زاوية سيدي عمر السحاتي بسبيبة في المقاومة في حين شيخ زاوية نفس الطريقة بكدية الحلفاء معمر الزاير قد وقف في وجه فرنسا وتصدى لهم، فالواضح هو عدم انسجام في المواقف بين طريقة وأخرى في نفس المنطقة وبين الزوايا التابعة لنفس الطريقة وبل حتى شيخ الطريقة وأتباعه.

-أحداث الجنوب:

-ان الجنوب التونسي هو آخر جهة في الإيالة خضعت للاحتلال الفرنسي بعد صمود طويل مما حتم على الإدارة الفرنسية وضعه الإدارة العسكرية، فإنه ما اندلعت الحرب العالمية الأولى،

(1)-التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص129. "أنظر الى الملحق رقم(11)."
(2)-التليلي العجيلي، المرجع نفسه، ص128.

دخلت فيها الدولة العثمانية الى جانب المانيا، ظهرت انتفاضات وكان مسرحا للعديد من المعارك العنيفةضد القوات الفرنسية [1].

ظهرت كل من الطريق الرحمانية والقادرية وكذلك التيجانية في العديد من المناسبات معبرة عن إخلاصها ووفائها لفرنسا وذلك أثناء الأحداث التي هزت منطقة الجنوب سنة 1915 و1916 م ومعظم الطرق في الجنوب امتنعت عن المساهمة في الأحداث، بل عملت في بعض الأحيان على إفشال القبائل وفاءا منها لفرنسا وهذا ما يدل على أن الحامل الطرقي لم يكن ملموسا وراء تلك الأحداث وإنما كان ضدها ورغم ذلك فإن جل القبائل تجاوزت المعطى الطرقي وقامت بما هو حسن بسبب قربها من طرابلس العرب وبعدها عن مقر الإدارة الفرنسية [2].

– فالمقاومات في الجنوب(صفاقس) عرفت قلة اتباع معظم الطرق مثل الرحمانية إلا باستثناء الطريقة المدنية التي كانت لها علاقة بالأتراك، هذا ما جعل فرنسا تقوم بتضييق الخناق على الطريقة المدنية حيث حاولت كسبها بالمنح والإعفاء عن الضرائب وهذا ما جعل الطريقة المدنية تخضع للاستعمار نتيجة سياستها المتبعة في منح الامتيازات ومصادرة الأراضي والإعفاء من الضرائب والدعم المادي، وكذلك بالنسبة للرحمانية والقادرية لعبا نفس الدور بانتحاء عائلتهما إلى الطبقة الغنية مثل عائلة شرقي والكراي [3].

– دور الطرق في المقاومات يتميز بتباين المواقف من دخول الاستعمار بين مختلف زوايا الطريقة الواحدة، وفي هذا السياق رأت السلطة الفرنسية بأن عبد العزيز والباشي علي الحبيب كانوا وراء تنظيم المقاومة وهما ينتميان إلى الطريقة الرحمانية والطريقة القادرية، حيث أصبح أي تحرك في نظر الإدارة الفرنسية يقف وراء الطريقة القادرية أو الرحمانية ففي سنة 1883 قامت الإدارة الفرنسية بتوقيف شيخ الزاوية الرحمانية بتهمة التحريض على الجهاد [4].

–إن الوازع الديني لم يكن المحرك الأساسي للمقاومة التونسية للاحتلال الفرنسي، فالطرق الصوفية مارست دورا فاشلا من جهة الاستعمار، وبصفه عامة باستثناء إحداث التالة فانه يمكن القول بأن الاتجاه العام لجل الطرق بالإيالة من وجود الاستعمار الفرنسي كان يتميز

(1) - فاطمة قارة ،المرجع السابق،ص87.

(2) -التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص164.

(3) -التليلي العجيلي، المرجع نفسه، ص167.

(4) - فاطمة قارة، المرجع السابق، ص92.

بالممانعة والتعامل مع فرنسا وذلك بسبب فشل المقاومات التونسية وبسط الاستعمار نفوذه وعدم وصول المساعدات العثمانية مما جعل الأهالي يواجهون عدو يفوتهم في العدة والعتاد وكذلك السياسة المتبعة من طرف فرنسا من امتيازات ومصادرة الأراضي وغيرها[1].

-المبحث الثـالـث: مصير الطرق الصوفية:

-عرفت تونس تحولات اجتماعية وسياسية في ثلاثينات القرن العشرين هذا ما أثر على دور الطرق الصوفية بالتراجع، خاصة مع بداية نشاط الحركة الوطنية فتاريخ الطرق الصوفية خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن العشرين تم ما جاء من تحولات يؤكد على بداية فقدان هذه الطرق لمكانتها الأدبية والاجتماعية على أتباعها، فالسياسة التي قامت بها فرنسا ضد الطرق الصوفية أدت مع مرور الوقت الى تراجع مصداقيتها لدى أتباعها ومزادها تراجعا هو ظهور قوى سياسية واجتماعية جديدة تتوافق مطالبها وأهدافها مع مطالب الشعب.

-بسبب ضعف الطرق الصوفية وتراجعها في نفوذها وهيبتها بين أتباعها هو وجود مشاكل داخلية، تتمثل في الصراعات التي كانت تحدث مع الطرق من أجل الحصول على عدد كبير من الأتباع وكذلك الزيادة في المداخيل وهذا ما أدى الى توتر العلاقات، كما كانت كل طريقة تنكر صحة ما تقوله الطريقة الأخرى، بالإضافة الى أنه لم تكن الصراعات بين الطرق فقط بل مشاكل داخل الطريقة الواحدة بين أفرادها مثل الصراع على منصب شيخ الزاوية[2].

- ان الصراعات التي كانت تحدث بين أتباع المشيخة مثل الصراع على منصب شيخ الزاوية، جعل الإدارة الفرنسية تستغل الموقف لضرب الأطراف المتصارعة وهذا ما يؤدي الى انقسام الطريقة وبالتالي ضعفها، كما أن مواقف بعض الطرق الصوفية كانت مخيبة للآمال من جهة الأحداث الوطنية، فمعظم الطرق كانت مؤيدة لسياسة السلطات الاستعمارية ولم تدلي بموقف يليق بمكانتها كمؤسسة دينية.

-وللسياسة الاستعمارية دور كبير هذه الطرق بسبب قوانينها التي تهدف للتخلص من النفوذ الأدبي والاجتماعي والاقتصادي للطرق مثل تحجير جمع الصدقات والتي تمثل احدى الشرايين

(1) - فاطمة قارة، المرجع السابق، ص94.

(2)-التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص 257-258.

الأساسية للاستقلالية الاقتصادية للطرق، فالطرق الصوفية أصبحت مهددة بسلب أراضيها وأحباسها والتي تمثل مصدر لاستقلاليتها[1].

-إن انتشار وتزايد القيم مع نهاية القرن 19 وبداية القرن 20 وظهور بوادر حركة إصلاحية بالبلاد التي نتج عنها تحول فكري واجتماعي كان سبب في انتصار وتراجع الطرق، التأثر بالحضارة الأوروبية خاصة من خلال بعثات الطلابية والمؤسسات التعليمية التي تزايدت في ذلك الوقت مثل المدرسة الصادقية 1875 ميلادي والخلدونية 1897 وهي ساهمت في نمو الوعي السياسي والاجتماعي والإصلاحي الذي تساعد في تحرير المجتمع وتخليصه من الاستبداد والمفاهيم المتحجرة ويجاري البدع والخرافات[2].

-من مظاهر ضعف الطرق الصوفية هو حالة الفقر وتراجع الوصفية الاقتصادية لبعض الطرق الصوفية وشيوخها بسبب السياسة الاستعمارية التي تم ذكرها سابقا مثل منع الزيارات والاستيلاء على الأحباس العامة والخاصة وهو أدى لشيوخ بعض الطرق للديون ورهن أملاكهم، بالإضافة إلى كثافة النشاط السياسي للحركة الوطنية خاصة للحزب الدستوري الجديد وزيادة أتباعه بعد مواقفه الداعمة للأهالي في النشر في الكثير من المناسبات وزيادة عدد سكان المدن مما أدى الى زيادة أتباع الأحزاب السياسية على حساب الطرق الصوفية[3].

-من أهم المظاهر التي تبين ضعف الطرق الصوفية هو تحويل الزوايا من مقرات دينية تابعة للطرق الى مقرات تستغل لمهام أخرى مثل توظيف الزوايا في بعض الأحيان لمقرات ومنابر لخدمة ودعاية من طرف الدستوريين سرا ومثال ذلك تحويل استغلال زاوية القادرية بقفصة سنة 1929م ميلادي إلى مدرسة للبنات المسلمات تكون تابعة للإدارة العامة للتعليم العالي العمومي والفنون، وفي سنة 1936 تم تحويل زاوية سيدي منصور الحجار للطريقة العيساوية بصفاقس الى مدرسة قرآنية، وكذلك تحويل القيام بصلاة الجمعة من الزاوية القادرية بالقصور جهة الكان إلى مسجد هناك جديد ورغم رفض الشيخ الزاوية محمد العربي لذلك إلا أن الأهالي أصروا

(1) - منيرة عليقي، الطرق الصوفية والمسألة الوطنية في تونس، مذكرة نيل شهادة الماستر، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2021-2022، ص 71-72.

(2) - التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص252.

(3) - التليلي العجيلي، المرجع نفسه، ص246.

على ذلك حيث تم الاتفاق على تقسيم المصليين بين المسجد والزاوية وهذا ما يوضح لنا بداية تغيير لموازين القوى على حساب الطرق الصوفية وهذا إشارة لبداية تراجعها واندثارها[1].

خلاصة:

إن موقف الطرق الصوفية من نظام الحماية كان يختلف من طريقة إلى أخرى بل يمكن أن نقول أنه يختلف من زاوية إلى أخرى، ومثال ذلك الطريقة القادرية التي تعتبر طريقة رحبت بالوجود الاستعماري في تونس، إلا أنه يوجد زوايا تابعة لها رفضت الاستعمار وقاومته مثل زاوية أبو سالم، نفس الأمر ينطبق على الطرق الأخرى مثل الرحمانية التي تعتبر طريقة قاومت الاستعمار إلا أنه توجد زوايا تابعة لها رحبت به وساندته في مقطع القضايا الوطنية.

لكن في العموم يمكن القول إن المواقف اختلفت بين المعارضة وهي الرحمانية والممادنة وهي القادرية والتيجانية، فالطرق الصوفية بالرغم من إمكانياتها المادية والبشرية كانت من الممكن أن تساند البلاد خاصة في القضايا الوطنية وظهور الحركة الوطنية، لكن مواقفها لم تكن واضحة بل معظمها كان الى جانب فرنسا، هذا ما نتج عنه نفور اتباعها وبداية ضعفها وتراجعها.

(1)-منيرة عليقي، المرجع السابق، ص74.

خاتمة

وفي ختام هذه الدراسة، والتي جاءت بعنوان " الطرق الصوفية في تونس وموقفها من الحماية الفرنسية " توصلنا إلى النتائج التالية:

اختلف العلماء حول تعريف التصوف والراجح أنه كلمة مشتقة من الصوف لباس المتصوفين فهو طريقة سلوكية قوامها التقشف والتحلي بالفضائل لطهارة النفس وصفاء الروح، أما الطريقة فهي السيرة والمذهب والحال وهي المنهاج الذي اختص به المتصوفة بغية تطهير القلوب من كل المؤثرات التي تشغله عن محبة الله وهذا المنهاج أساسه هو المجاهدة وإتباع طريق معين للتقرب من الله سبحانه وتعالى، واختلفت هذه المناهج من طريقة لأخرى فلكل طريقة منهج معين تتبعه يميزها عن الطرق الأخرى.

لقد مر التصوف على عدة مراحل في تطوره كان بدايتها القرن الأول والثاني هجري إلى القرنين السادس والسابع هجري، حيث تعتبر هذه المرحلة من أهم المحطات التاريخية لتصوف ووصوله إلى بلاد المغرب الإسلامي ويرجع انتشار التصوف في المغرب الإسلامي إلى عدة أسباب أهمها التواصل الذي كان يجمع سكان المغرب الإسلامي بدول المشرق عن طريق الحج والرحلات العلمية.

إن انتشار الطرق الصوفية في تونس كان مصدرها الجزائر والمغرب الأقصى وانتشرت عن طريق تونسيين ورحالة جزائريين ومغربين وعرفت البلاد التونسية طرق أصلية منها القادرية والتيجانية وطرق متفرعة مثل الشاذلية، الرحمانية، العيساوية، المدنية، الشابية وتختلف هذه الطرق في أسمائها وتتشابه في أهدافها ومبادئها التي تتمثل في تقديم تكوين صوفي، وتحفيظ القرآن الكريم وتدريس العلوم النقلية.

قامت السلطات الفرنسية بانتهاج سياسة استعمارية مع الطرق الصوفية نظرا لقوتها وبسط نفوذها داخل المجتمع التونسي، بالإضافة إلى قوتها الاقتصادية التي تشكل خطرا على الوجود الفرنسي، خاصة أن فرنسا لها تجربة مع المقاومات الشعبية بالجزائر التي كان مصدرها ونواتها الألى الطرق الصوفية مثل مقاومة الأمير عبد القادر وثورة أولاد سيدي الشيخ ،هدفت هذه السياسة إلى إخضاعها والسيطرة عليها في المرحلة الأولى وزعزعة مكانتها ونفوذها لدى

أتباعها في تونس باعتبارها أهم مؤسسة دينية آنذاك تتميز بنفوذ مادي وبشري هام ثم سعت في مرحلة ثانية إلى توظيفها واستعمالها لخدمة مصالحها.

مارست فرنسا سياسة التدجين والتوظيف من خلال إغراء شيوخ الزوايا بالامتيازات والمساعدات والإعفاءات وغيرها وسياسة مصادرة الأراضي الأحباس العامة والخاصة ،ومنع الزيارات ومراقبة تنقلات شيوخ الزوايا ، وإلغاء حق التحصن والتدخل في تسمية شيوخ الزوايا وهو ما أثر على مكانتها الاقتصادية والاجتماعية، حيث تراجع تأثيرها ونفوذها و أزداد فقرها من خلال القضاء على سندها المالي ،هذا ما جعل الطرق الصوفية تقع في فخ الإغراءات الاستعمارية وبالتالي تقديم خدمات تصب في صالح السياسة الفرنسية والتنافس بين الطرق الصوفية لتقرب من السلطة الفرنسية.

تباينت ردود ومواقف الطرق الصوفية ممثلة في شيوخها من الحماية الفرنسية فمعظم الطرق فضلت مهادنة السلطات الاستعمارية وكسب ودها والعمل على تهدئة الجموع والجماهير خاصة ما قام به شيوخ الزاوية التيجانية والقادرية، كما توجد طرق صوفية أخرى أعلنت عن رفضها للمحتل وقررت مواجهته رغم إمكانيتها المحدودة وذلك من خلال التحريض على المقاومة المسلحة و الانتفاضات ومواجهة المستعمر مثل الطريقة الرحمانية، وتجسيد ذلك في المشاركة في بعض المقاومات مثل مقاومة الشمال إضافة إلى القيام بمقاومة الفراشيش بالتالة، وتوجد مواقف إيجابية لبعض مشايخ الزوايا التابعة للقادرية والتيجانية ولكنها تمثل موقف شيوخ ولم تكن نابعة من سياسة الطريقة الواحدة ،والحكم السلبي الذي ظهر على الطريقة القادرية والتيجانية في تونس هو ناتج من خلال إتباع موقف الزاوية الأم للطريقة ومثال ذلك الطريقة الرحمانية فالزاوية الأم كانت رافضة للوجود الفرنسي وقاومته في حين وجود بعض مشايخ الزوايا اللذين تعاونوا مع فرنسا.

يمكن القول أن موقف الطرق الصوفية من المسألة الوطنية بكل حيثياتها يمتاز بالسلبية في أغلب الأحيان، من خلال اختيار المهادنة بدل المقاومة وظهور الوعي الوطني السياسي المتجسد في نشاط الحركة الوطنية من خلال الحزب الدستوري الحر التونسي الجديد سنة

1930م، جعل الطرق الصوفية تتخوف من فقدان نفوذها ومكانتها، وهو ما جعلها تبدي العداوة لها وتحرض السلطات الاستعمارية ضدها، وبالمقابل كان عبد العزيز الثعالبي ينتقد هذه الطرق وأفكارها.

إن موقف الطرق الصوفية من كل الأحداث التي عاشتها البلاد التونسية ساهمت بشكل كبير في التأثير على مصيرها، مما جعلها تتدهور في مكانتها الاجتماعية وتتراجع في نفوذها الاقتصادي وتناقص أتباعها وتقلص نفوذها وبالتالي ضعفها وعجزها.

الملاحق

الملحق رقم 01

جدول يمثل عدد زوايا وأتباع الطريقة القادرية في تونس سنة 1925.

المراقبة	عدد الزوايا	العدد الجملي للأتباع
بنزرت	6	663
تونس	38	1 821
زغوان	2	172
ڤرنبالية	14	1 154
طبرقة	1	6.001
سوق الإربعاء	-	1.012
تبرسق	1	26 001
باجة	2	5000
الكاف	4	5.911
سوسة	11	484
مكثر	-	729
القيروان	2	12 508
تالة	7	42.036
صفاقس	5	120
ڤفصة	2	5000
توزر	3	1 593
ڤابس	4	408
جربة	1	61
مطماطة	4	74
مدنين	1	983
تطاوين	1	4 505
ڤبلّي	-	1 435
المجموع	**109**	**117.681**

- العجيلي، المرجع السابق، ص 40.

الملحق رقم 02

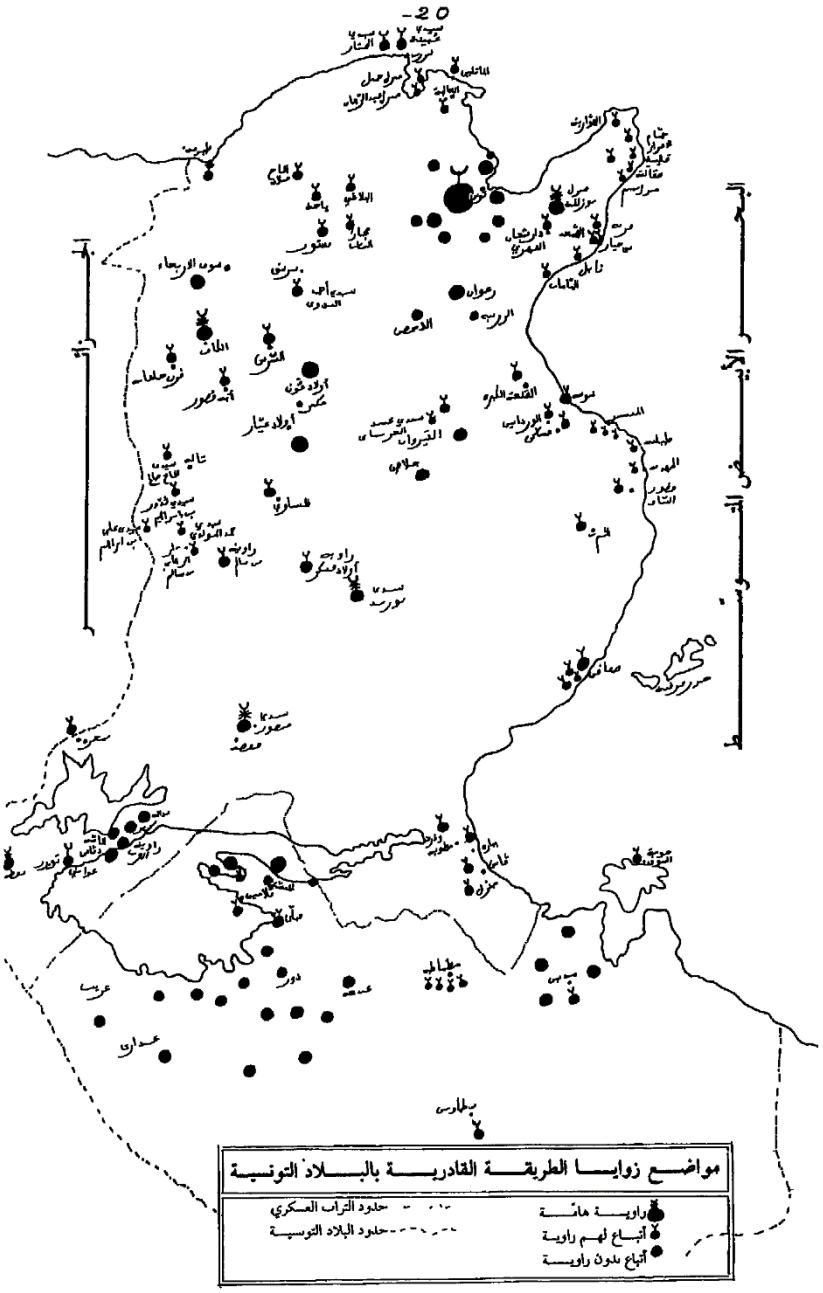

التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص41.

الملحق رقم 03

جدول يمثل عدد زوايا وأتباع التيجانية .

المراقبة	عدد الزّوايا	العدد الجملي للأتباع
بنزرت	2	293
تونس	6	501
قرنبالية	1	51
مجاز الباب	1	201
سوق الإربعاء	1	22
باجة	-	400
الكاف	1	1.015
سوسة	3	123
تالة	-	5 350
القيروان	2	1.578
قفصة	-	500
توزر	3	555
قابس	3	406
مدنين	1	68
تطاوين	-	5.031
المجموع	**24**	**16 094**

التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص 44.

الملحق رقم 04

مراسلة من الشيخ محمد الطاهر بن عاشور إلى شيخ الزاوية التيجانية بتامسين يشكره فيها على توسعة الفرع الزيتوني بتوزر.

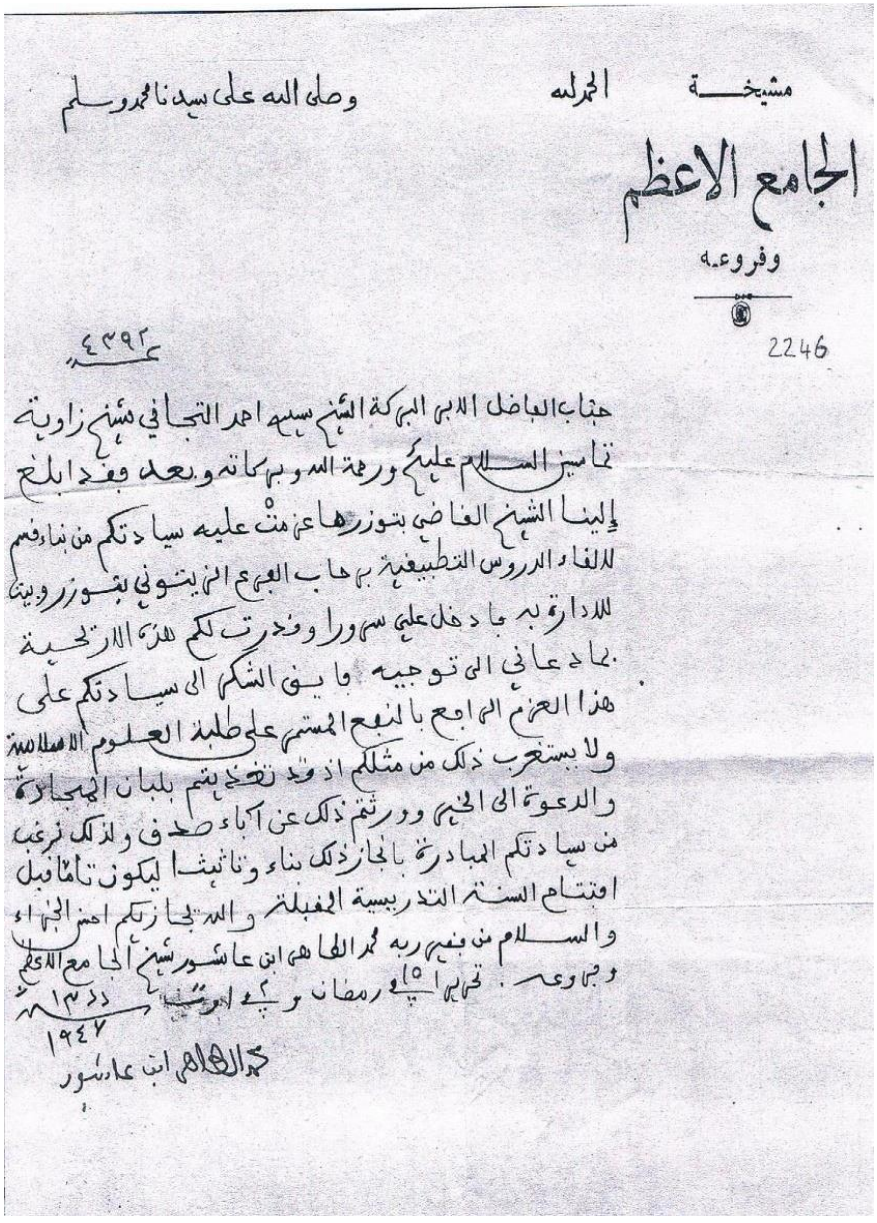

مشيخة الجامع الاعظم وفروعه

2246

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

جناب الفاضل الادب البركة الشيخ سيدي احمد التجاني شيخ زاوية تامسين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد ابلغ إلينا الشيخ القاضي بتوزر ما عزمتم عليه سيادتكم من بناء قسم للالقاء الدروس التطبيقية بجانب الجامع الزيتوني بتوزر وبينا للادارة به بادخل علي سرورا وقدرت لكم للذة الارتياحية بما دعاني الى توجيه فايق الشكر الى سيادتكم على هذا العزم الرائع بالنفع المستمر على طلبة العلوم الاسلامية ولا يستغرب ذلك من مثلكم اذ قد نفخ بثم بلبان الهجارة والدعوة الى الخير وورثتم ذلك عن آباء صدق ولذلك نرغب من سيادتكم المبادرة بانجاز ذلك بناء وتاثيثا ليكون تاما قبل افتتاح السنة التدريسية المقبلة والله يجازيكم احسن الجزاء والسلام من فضيلكم ربه محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الجامع الاعظم وجميع. تحريرا في ١٥ رمضان ١٣٦٦ الموافق ٢ اوت ١٩٤٧

محمد الطاهر ابن عاشور

لطيف رزقي، المرجع السابق ،ص172.

الملحق رقم 05

شجرة الطريقة الرحمانية

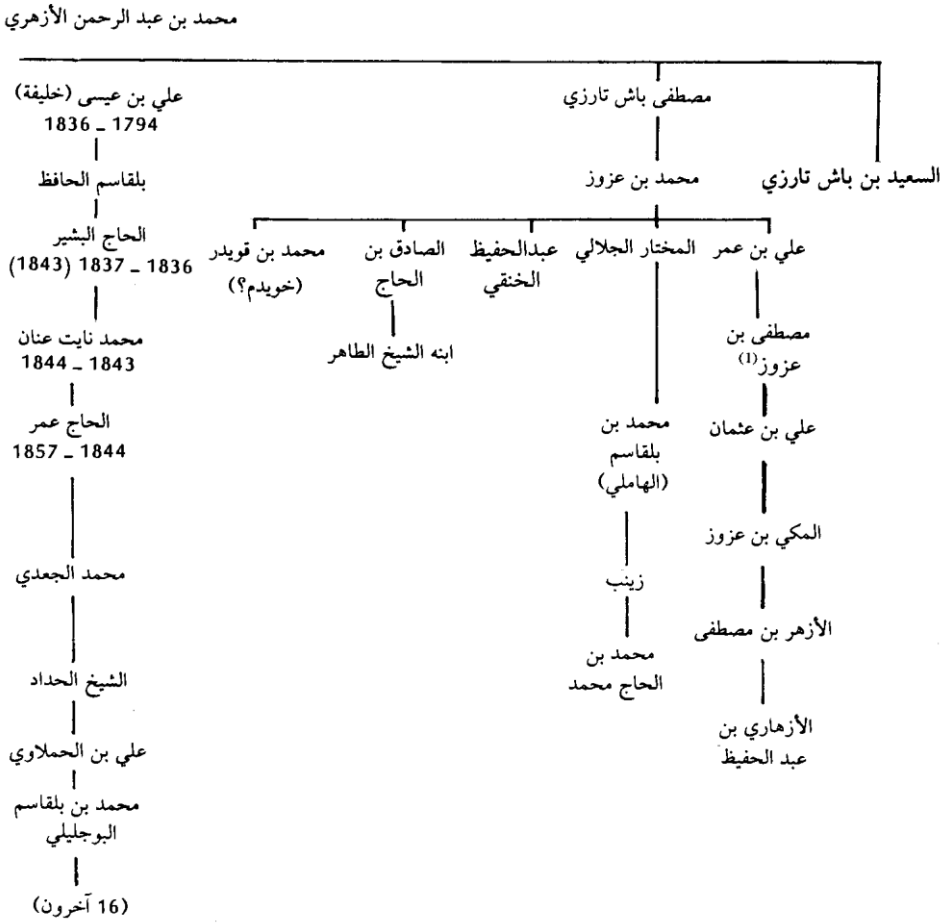

سعد الله، أبو القاسم تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، ص188.

الملحق رقم 06

جدول يمثل عدد زوايا وأتباع الطريقة الرحمانية .

المراقبة	عدد الزّوايا	العدد الجملي للأتباع
بنزرت	4	2.562
تونس	6	5.251
زغوان	1	1 002
مجاز الباب	3	1 661
طبرقة	-	4.500
سوق الإربعاء	-	3 711
ترسق	1	11.001
باجة	1	3.201
الكاف	2	6 567
سوسة	4	177
تالة	8	53 063
مكثر	5	3 934
صفاقس	1	20
القيروان	5	4 016
قفصة	1	2 105
توزر	7	2 112
قابس	1	21
جهة جرجيس	1	61
جهة مطماطة	3	234
جهة مدنين	-	4.172
جهة تطاوين	-	3.514
جهة قبلّي	1	1 267
قيادة تاجروين	1	609
المجموع	**56**	**114 761**

التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص53.

الملحق رقم 07

الطرق المتفرعة عن الطريقة القادرية

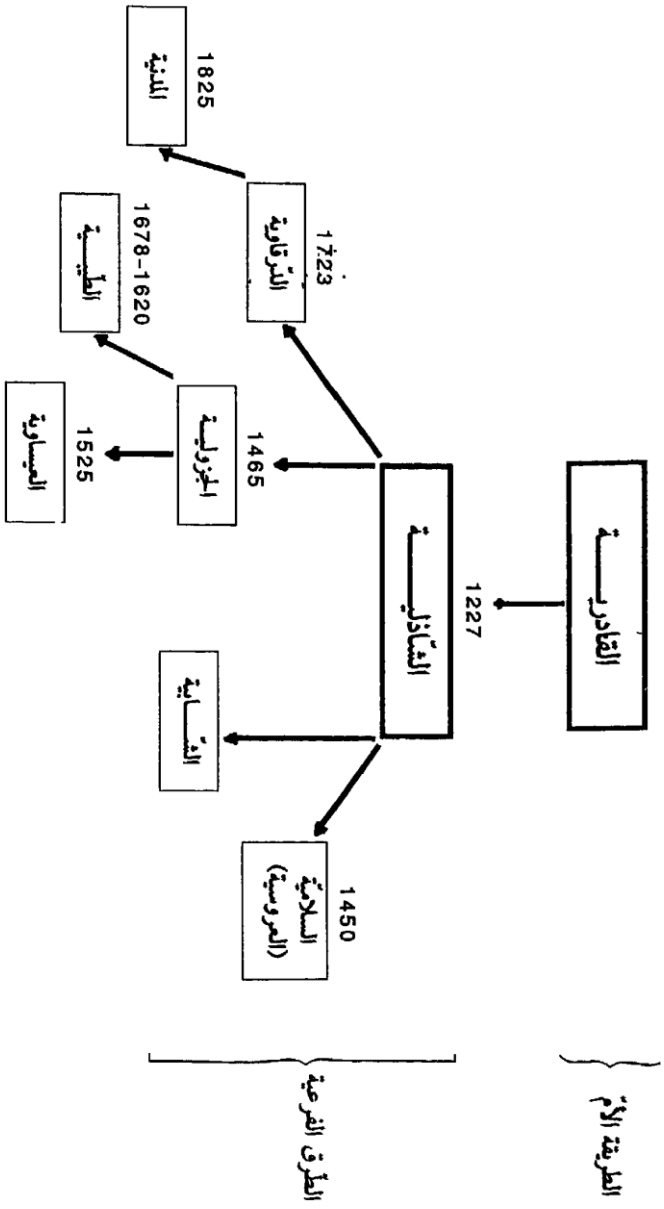

التليلي العجيلي،المرجع السابق ،ص 46.

الملحق رقم 08 مداخيل الطرق الصوفية في البلاد التونسية

إسم الطريقة	قيمة العقارات التي تملكها الطرق بحساب الفرنك	الدّخل السنوي لعقارات الطرق بحساب الفرنك	الدّخل السنوي المتأتّي من الزيارات بحساب الفرنك	مجموع الدّخل السنوي بحساب الفرنك
القادريّة	2 000.000	44 000	120.000	164 000
الرّحمانيّة	3 875.000	93 000	97 000	190.000
العيساويّة	840 000	16 800	56 310	73.110
التّيجانيّة	1 191.500	23 830	24.000	47 830
السّلاميّة	556 400	39.626	62.445	102.071
سيدي بو	380 000	7.600	24 570	32.170
الشّاذليّة	455 000	9.100	31 270	40 370
المدنيّة	-	-	5.000	5 000

لطيف رزقي، المرجع السابق، ص 41.

الملحق رقم 09

التوزع الجهوي لأتباع الطرق في البلاد التونسية سنة 1925.

أسماء الطرق	الشمال الغربي							الوسط والوسط الغربي			العدد الجملي للأتباع على مستوى كامل البلاد
	سوق الاربعاء	طرقة	باحة	مكثر	الكاف	مج الشمال العربي		القيروان	تالة	المجموع	
القادريّة	1012	-	5000	729	5911	**12.652**		12 508	42.036	54.544	**117 681**
الرحمانيّة	3.711	4.500	3.201	3 934	6 567	**21 913**		4 016	53 063	57 079	**114 761**
العيساويّة	-	-	2 000	-	3.031	**5.031**		-	-	-	**37.534**
التيجانيّة	22	-	400	-	1015	**1 437**		1578	5.350	6 928	**16 094**
السلاميّة	-	-	-	-	-	-		455	3.400	3.855	**12.489**
سيدي بو علي الغطي	-	-	-	-	-	-		-	-	-	**2,457**
الشّاذليّة	131	-	-	20	-	151		102	-	102	**627**
المـدنيّة	-	-	-	12	-	12		201	-	201	**485**
المجموع					16 524	41 184		18860	103 843	122 721	**306 937**
النسبة المائويّة(118)						%15				%38	

التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص66.

الملحق رقم 10

معاهدة باردو

معاهدة باردو أو «قصر السعيد»

«إنّ دولة الجمهورية الفرنسية ودولة سمو باي تونس – لما كان من غرضهما أن يمنعا إلى الأبد حدوث قلاقل كالتي حصلت أخيرا على حدود الدولتين بسواحل المملكة التونسية وأن يحكما علاقات ودادهما القديم وروابط حسن الجوار – قد اتفقتا على عقد معاهدة من شأنها تحقيق مصالح كلا الجانبين السامِيين المتعاقدين. وبناء على ذلك فإنّ فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية قد عيّن العماد بريار نائبا مفوضا من طرفه فاتفق جنابه مع سموّ الباي المعظم على البنود الآتية :

البند الأول : إنّ معاهدة الصلح والمودة والتجارة وجميع المعاهدات الأخرى الموجودة الآن بين الجمهورية الفرنسية وسمو باي تونس قد وقع تأكيدها وتجديدها.

البند الثاني : لأجل تسهيل القيام بالإجراءات التي يتحتّم على دولة الجمهورية الفرنسية اتّخاذها للوصول للغرض الذي يقصده الجانبان العاليان المتعاقدان فقد رضي سمو باي تونس بأن تحتلّ القوات الفرنسية العسكرية المراكز التي تراها صالحة لاستتباب النظام والأمن بالحدود والسواحل، ويزول هذا الاحتلال عندما تتفّق السلطتان الحربيّتان الفرنسية والتونسية–، وتقرّران معا بأن الإدارة المحليّة قد أصبحت قادرة على المحافظة على استتباب الأمن العام.

البند الثالث : تتعهد دولة الجمهورية الفرنسية ببذل مساعدتها المستمرة لسمو الباي وحمايته من كلّ خطر يمكن أن يهدّد ذاته أو عائلته أو يعبث بأمن مملكته.

البند الرابع : تضمن الدولة الفرنسية تنفيذ جميع المعاهدات المعقودة بين السلطات التونسية ومختلف الدول الأوروبية.

البند الخامس : يمثل الدولة الفرنسية لدى سمو الباي وزير مقيم عام تكون وظيفته السهر على تنفيذ هذه المعاهدة ويكون هو الواسطة بين الدولة الفرنسية وبين السلطات التونسية في جميع القضايا التي تهمّ الجانبين.

البند السادس : يكلف الممثلون الدبلوماسيون والقنصليون لفرنسا في البلاد الأجنبية بحماية رعايا المملكة التونسيّة ومصالحها. وفي مقابل ذلك يلتزم سمو الباي بأن لا يعقد أي عقد ذي صبغة دوليّة من دون إعلام الدولة الفرنسية بذلك والحصول على موافقتها مقدّما.

البند السابع : تحتفظ دولة الجمهورية الفرنسية ودولة سمو الباي لنفسها بحقّ الاتفاق على وضع نظام مالي بالمملكة التونسيّة من شأنه الوفاء بواجبات الدين العام وضمان حقوق دائني المملكة.

البند الثامن : تفرض غرامة حربيّة على القبائل العاصية بالحدود والسّواحل وتحدّد قيمة هذه الغرامة وطرق جبايتها باتفّاق يعقد فيما بعد وتكون حكومة الباي هي المسؤولة على تنفيذ هذا الاتفاق.

البند التاسع : لأجل صيانة ممتلكات الجمهورية الفرنسية بالقطر الجزائري من تهريب الأسلحة والذخائر فإن دولة سمو الباي تتعهّد بأن تمنع قطعا إدخال السلاح والذخائر الحربيّة الأخرى بالمملكة التونسية.

البند العاشر : يقع عرض هذه المعاهدة على دولة الجمهورية الفرنسية للمصادقة عليها وتسلّم وثيقة التصديق عليها بعد ذلك لسمو باي تونس في أقرب وقت ممكن.

وكتب بالقصر السعيد في 12 ماي 1881

الإمضاء : محمد الصادق باي- العماد «بريار»

منيرة عليقي، المرجع السابق، ص 85.

الملحق رقم 11

جدول لأهم القبائل التي ساهمت في مقاومة الوسط الغربي ضد فرنسا.

إسم القبيلة التي ساهمت في المقاومة	الطرق الصوفيّة التي تنتمي إليها
مـــاجـــر	القادرية، التّيجانية، والرّحمانيـة(69)
الفراشيـــــش	أغـلـبـهـم رحـمـانـيّـة (70)
أولاد مْهَنّـــة	
الفَوايْـــــد	
ونيفـــــــة	
أولاد ــ «القبالـــة»	قادريّـــة + رحـمـانيّـــــة (71)
عـيّـــار ــ «الظّهارة»	كلهّم تـقـريـبـا رحمانيّـــة
جـــــلاص	الرّحـمـانيـــة والـقـادريّـــة (72)
ورْتـــان	القادريـــة والرّحمانيـــة (73)
الـهـمـامـــة	جـزء هـام منهـم قادريّـة (74)
الزّغـالمـــة	القادريـــة والرّحمانيّـة (75)

التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص 130.

قائمة المصادر والمراجع

***-القران الكريم**

***المصادر :**

1-إبن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، ج 03، تح: علي عبد الواحد الوافي، ط 01، دار النهضة، مص،2010م.

2-إبن خلدون عبد الرحمان، شفاء سائل وتهذيب المسائل، تح: محمد مطبع الحافظ، ط01، دار الفكر، دمشق، سورية ،1417هـ -1996م.

3-ألهي الظهير إحسان، التصوف المنشأ والمصادر، ط01، دار الترجمان السنة، لاهور باكستان،1986م.

4-أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج03 دار العرب، تونس.

5-القشيري أبو القاسم عبد الكريم، الرسالة القشيرية، ط01، مطبعة مصطفى الباي الجلي وأولاده، القاهرة، مصر،1940م.

6-علي حزام بن العربي برادة، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني، ج01، مطبعة مصطفى الباي الجلي، مصر.

***المراجع :**

7-البهلوان علي، تونس الثائرة، د ط، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة ،2018م.

8-التفتزاني أبو الوفا الغنيمي، مدخل الى التصوف الإسلامي، ط03، دار الثقافة لنشر والتوزيع، القاهرة،1976 م.

9-التليلي العجيلي، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية 1881-1939م، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس،1992م.

10-الحربي محمد، ابن تيمة وموقفه من أهم الفرق والبيات في عصره، د ط، عالم الكتب بيروت ،1987م.

11-الدراجي بو زياني، عبد الرحمان الأخضري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره ط02، البويرة،2009م.

12-الرزقي لطيف، الطريقة التيجانية في تونس تاريخ والأفاق، دار الأهرام لطباعة والنشر تونس، 2019م.

13-السهلي عبد الله بن دجين، الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وأثارها، ط01، دار الكنوز، إشبيليا للنشر والتوزيع،2005م.

14-العقبي مؤيد صلاح، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، ج01، دار البراق،2002م.

15-القصاب أحمد، تاريخ تونس المعاصر 1881-1956م، ط01، الشركة التونسية للتوزيع تونس،1986م.

16-المرزوقي محمد، دماء على حدود ثورة 1915م، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس.

17-المحجوبي علي، انتصاب الحماية الفرنسية على تونس، د ط، دار سراس للنشر، تونس 1886م.

18-النيال محمد اليهلي، الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي، دار النجاح تونس،1965م.

19-أحمد عيسى عبد غالب، مفهوم التصوف، وار الجبل، بيروت،1992م.

20-حداد ميشال وعبد عاطف، قيمة تاريخ الحضارات العربية، د ط، د س.

21-حفناوي عمايرية، المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي، الطريقة المدنية الأصول والطقوس والدلالات الاجتماعية، تن: الهادي التيمومي، بيت الحكمة، قرطاج، تونس 1999م.

22-ر-أ نيكسون، الصوفية في الإسلام، نور الدين شرية، ط02، مكتبة الخارجي القاهرة،2022م.

23-رزيق برهان، التصوف في تاريخ الفكر الإسلامي، ط01، سوريا،2012م.

24-زروق عبد الله حسن، قضايا التصوف الإسلامي، ط02، هيئة الأعمال الفكرية الخرطوم، السودان،2006م.

25-سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830م، ج01، دار الغرب الإسلامي بيروت،1998م.

26-سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1830 -1954م، ج04، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.

27-شيمل أنا ماري، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، تر;محمد إسماعيل السيد، رضا حامد قطب، ط01، منشورات الجمل، بغداد،2006م.

28-عبد الله عبد الله إبراهيم، الطرق الصوفية في القارة الافريقية، ط01، القاهرة،2004م.

29-كحول عباس، زوايا الزيبان العزوزية مرجعية علم وجهاد، دار علي بن زيد للطباعة بسكرة، 2010م.

رسائل الدكتوراه:

30-بوغديري كمال، الطرق الصوفية في الجزائر الطريقة التيجانية نموذجا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، علم الاجتماع، جامعة سطيف، 2014-2015م.

31-زروقي عبد الله، الطرق الصوفية ومنطلقاتها الفكرية والأدبية بمنطقة توات دراسة تاريخية وأدبية "نماذج شعرية من ديوان سيدي عبد الكريم بن محمد البابلي 1288-1860م"، رسالة دكتوراه، أدب عربي، جامعة قاصدي مرياح، ورقلة،2016-1017م.

رسائل الماجستير:

32-بن يوسف التلمساني، الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر، شهادة ماجستير، جامعة الجزائر،1997-1998م.

33-دركوش أحمد، مواقف الطرق الصوفية من الاستعمار في الجزائر وتونس 1830-1914م القادرية والتيجانية نموذجا، مذكرة ماجستير، تاريخ معاصر، جامعةالجزائر02 2010-2011م.

34-دحدي سعود، البعد الجهوي المغاربي لطريقة السنوسية 1844-1931م، شهادة ماجستير، تاريخ معاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر،2009-2010م.

35-حنقوق إسماعيل، دور الطرق الصوفية في منطقة الأوراس 1844-1930م، رسالة الماجستير، تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر، باتنة ،2010-2011م.

36-قارة فاطمة، موقف الطرق الصوفية من الحماية الفرنسية 1881-1931م طريقة القادرية والتيجانية نموذجا، مذكرة ماجستير، التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 02، 2011-2012م.

37-مسعودي زهرة، الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب افريقيا من القرن 18م الى 20م، مذكرة ماجستير، التاريخ الافريقي الحديث والمعاصر، جامعة أدرار،2009-2010م.

مذكرات الماستر:

38-عليقي منيرة، الطرق الصوفية والمسألة الوطنية في تونس، مذكرة لنيل شهادة الماستر جامعة العربي بن لمهيدي، أم لبواقي ،2021-2022م.

***المعاجم والقواميس :**

39-إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج01، ط02، القاهرة ،1972م.

40-أبوعمروشهاب الدين، القاموس الوافي، تر: يوسف البقاعي، ط01، دار الفكر بيروت،2003م.

43-ابن المنظور جمال الدين، لسان العرب، ج10، نشر أدب الدورة ،1405هـ.

44-الجرجاني علي بن محمد، قاموس المصطلحات والتعريفات علم الفقه واللغة

تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة ،2004م.

***المجلات** :

45-التليلي العجيلي، السلطة الاستعمارية والنخبة الدينية للبلاد التونسية 1881-1918م حوليات الجامعة التونسية، جامعة منوبة، تونس،1995م.

46-الرزيقي محمد، الزاوية الرحمانية بسليانة وأشكال مقاوماتها للاستعمار، مجلة الاتحاف ع 226، سليانة، تونس ،2013م.

47-زيزاح سعيدة، ظاهرة الطرق الصوفية والتعبير الاجتماعي في المجتمع الجزائري مجلة الباحث، جامعة الأغواط، ع 11، الجزائر،2010م.

48-عصامي سكينة، الطريقة القادرية بالجريد التونسي من النشأة إلى الاضمحلال 1843-1954م، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية م03، ع05، صفاقس، تونس،2017م.

49-شرويك محمد الأمين، انتقال التصوف إلى بلاد المغرب الإسلامي، مجلة أفاق فكرية ع06، كلية العلوم الإنسانية الاجتماعية، جامعة جيلالي، اليابس سيدي بلعباس، الجزائر 2017م.

فهرس المحتويات

شكر وعرفان	/
إهداء	/
مقدمة	أ-ب-ج-د
الفصل الأول: الطرق الصوفية وأصولها	
تمهيد	7
المبحث الأول: تعريف الطرق الصوفية	8
01-تعريف التصوف	8
01-1-التصوف لغة	8
01-2-التصوف اصطلاحا	9
02-تعريف الطريقة	14
02-1-الطريقة لغة	12
02-2-الطريقة اصطلاحا	13
المبحث الثاني: ظهور التصوف ومراحل تطوره	16
المرحلة الأولى	16
المرحلة الثانية	18
المرحلة الثالثة	20
المرحلة الرابعة	21
المبحث الثالث: ظهور التصوف في بلاد المغرب الإسلامي	23
خلاصة الفصل	25
الفصل الثاني الطرق الصوفية في تونس ونشاطها	
تمهيد	28
المبحث الأول: الطريقة القادرية	29
المبحث الثاني: الطريقة التيجانية	33
المبحث الثالث: الطريقة الرحمانية	38
الطريقة الشاذلية	40
الطريقة المدنية	41
الطريقة العيساوية	41

الطريقة الشابية	41
الطريقة السنوسية	41
خلاصة الفصل	43
الفصل الثالث: السياسة الاستعمارية والطرق الصوفية	
تمهيد	46
المبحث الأول: فرض الحماية على تونس	47
المبحث الثاني: السياسة الاستعمارية ضد الطرق الصوفية	51
﴿تسمية مشايخ الطرق	51
﴿منع الزيارات	53
﴿مصادرة أراضي الأحباس	53
﴿التدجين والتوظيف	55
المبحث الثالث: أثر السياسة الاستعمارية على الطرق الصوفية	56
خلاصـــة الفصل	59
الفصل الرابع: موقف الطرق الصوفية من نظام الحماية الفرنسية	
تمهيد	61
المبحث الأول: موقف الطريقة القادرية والتيجانية	63
المبحث الثاني: موقف الطريقة الرحمانية	69
المبحث الثالث: مصير الطرق الصوفية	75
خلاصة الفصل	77
خاتمة	81
الملاحق	83
قائمة المراجع	95
فهرس	101

***الملخصات:**

أولا: باللغة العربية:

تتناول هذه الدراسة موضوعا هاما يتمثل في "الطرق الصوفية في تونس وموقفها من الحماية الفرنسية "،حيث عرفنا أن الطرق الصوفية انتشرت ووصلت إلى تونس عن طريق المشرق وبلاد المغرب الإسلامي الجزائر والمغرب الأقصى ومن أشهر هذه الطرق نجد القادرية التيجانية، الرحمانية، الشاذلية ...، تعرضت تونس سنة 1881م إلى نظام الحماية الفرنسية وكان موقف الطرق الصوفية يختلف من طريقة إلى أخرى بل حتى داخل الطريقة الواحدة، مارست بعض الطرق مثل القادرية والتيجانية أسلوب المهادنة في حين مارست طرق أخرى أسلوب المقاومة مثل الرحمانية، هذا ما جعل فرنسا تمارس سياسة إغرائية هدفها الأساسي هو إفشال الطرق الصوفية وإضعاف نفوذها الاقتصادي والاجتماعي فموقف الطرق الصوفية تميز بالسلبية من جهة الحماية الفرنسية والقضايا الوطنية هذا ما أدى إلى تراجع مكانتها وضعفها بعد 1930م.

الكلمات المفتاحية: الطرق الصوفية – تونس – الحماية الفرنسية – السياسة الفرنسية.

ثانيا: بالإنجليزية:

abstract

This study addresses an important topic about the Sufi paths in Tunisia and their position towards the French protection. We learn that the Sufi paths spread towards Tunisia from the East and the Islamic Maghreb including Algeria and Morocco, and the most famous of these paths are Al-Qadiriya, Al-Tijaniya, Al-Rahmania, and Al-Shadhiliya. Tunisia was subjected to the French protection system in 1881, and the position of the Sufi paths varied from one path to another, and even within the same path. Some paths, such as Al-Qadiriya and Al-Tijaniya, adopted a conciliatory approach, while other paths chose the resistance approach, such as Al-Rahmania. This made France pursue a policy of temptation, aiming to undermine the economic and social influence of the Sufi paths. The negative position of the Sufi paths towards the French protection and national issues led to the declin

Keywords : sufi ways، Tunisia، french protectorate ،french politics.